مجهولة آراس

مسرحية من ثلاثة فصول

أرمان سالاكرو

عرضت مسرحية « مجهولة آراس » لأول مرة يوم الجمعة الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥، على مسرح الشانزليزيه ، من إخراج " لونيى بو " وديكور " مولير" وموسيقى "ديلانوا ". وقد أدرجت المسرحية ضمن عروض " الكوميدى فرانسيز " كما عرضت فى قاعة مسرح لوكسومبرج من إخراج " جاستون باتّى " ، وذلك فى الحادى عشر من يناير ١٩٤٩

آرمان سالاكرو

ولد فى رووان عـام ١٨٩٩ ، درس الصـيـدلة والطب . هجـر التخصص وتوجه إلى المسرح وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، اتخذ إنتاجه منذ البداية الطابع السريالى الذى لفت إليه المبدعين . كان صديقا لاثنين من كبار مخرجى العصر هما لوينى بو وشارل دولان .

يجمع فى مسرحية بين الفودفيل والدراما الطبيعية ، ومسرح البولفار (مسرح الشباك) والمسرح الفكرى .

يرى سالاكرو أن العمل المسرحى ما هو إلا نوع من التأمل فى الوضع الإنسانى ، فجاء إنتاجه حافلا بألوان العذاب والشقاء والمعاناة التى تحل بالإنسان دون أن يدرك لها سببا أو مغزى .

بدأ يعرف النجاح عام ١٩٣٤ مع مسرحيته " امرأة حرة " . ثم جاءت مسرحية "مجهولة آراس " ١٩٣٥ لتجعل منه أحد أعمدة الطليعة ، وهى أعظم أعماله . وهى تسجل لحظة الاستنارة التى يتوصل إليها الإنسان وهو على مشارف الموت . وقد أثارت المسرحية إعجاب السرياليين وكتاب المسرح المعاصر ؛ لما يغلب عليها من طابع التفكك الذى هو من سمات الأحلام ، عالم السرياليين . وقد اعتبرها المخرج

الشهير لوينى بو " منشور المسرح المنتظر " ولخّصها قائلا: " مجهولة آراس تستمد قيمتها بنوع خاص من الطريقة المبتكرة فى عرض دراما الإنسان الداخلية .

بعد مجهولة آراس كتب سالاكرو العديد من المسرحيات من أهمها :

رجل كالآخرين - الأرض كروية – ليالى الغضب – قبيلة لونوار .

الشخصيات

أوليس
نيقولا
الأب
الجد
ماكسيم ، ٣٧
ماكسيم ، ٢٠
مدير المدرسة

صبى المقهى
الشحاذ
يولاند
مادلين
المجهولة
ييت
الأم فينو

الفصل الأول

* الدقات الثلاث .

* أغنية بصوت امرأة بينما يفتح الستار على ظلام . ثم نميز فى الركن الأيسر كرسىً فوتوى ومنضدة صغيرة ومصباحًا ... هذا الديكور يمثل نهاية حجرة استقبال أو بداية شرفة مساء يوم من أيام الصيف . نسمع طلقة مسدس شديدة جدا . الأغنية تتحول إلى صراخ . رجل يحتضر فى الفوتوى .

* صوت المرأة المنزعجة ، يتساءل : " انتحر ؟ انتحر ؟ "

* خادم يظهر . يرى الجثة . يخرج من ناحية اليمين بسرعة فى الديكور الذى بدأ ينير ويتشكل . الخادم يصرخ " النجدة ! " . هو الآن فى الشارع . سلم يصعد فى العمق يتصل بشارع آخر مرتفع به منازل .

* الضحية ما يزال فى الفوتوى ، وتصل المرأة .

* الأغنية وعملية الانتحار والصراخ وجرى الخادم ودخول المرأة ، كل ذلك لم يستغرق خمس عشرة ثانية (ربع دقيقة)

يــــولانـــــد : سامحنى ! سامحنى !

نيـــــقـــــولا : **(من أعلى)** النجدة ! النجدة !

يــــولانـــــد : لا ! مستحيل ! **(ثم تمس بإصبعها صدر زوجها وتقرر :)** هذا دم ! النجدة !

نيـــــقـــــولا : **(يكرر كالصدى)** – النجدة ! **(ثم صارخا :)** سيدى قتل نفسه ، لأن سيدتى كانت سيئة .

يــــولانـــــد : **(كمن تحدث نفسها)** – أنا كنت دائما طيبة .

نيـــــقـــــولا : **(مواصلا)** ... وأنانية ... وطائشة ... وكسولة **(تنبل)**

يــــولانـــــد : وأنت كنت طيبا . كنت تحبنى كثيرا . صحيح أننى ضحيت بكل شـــىء فى سبيلك . .

نيـــــقـــــولا : **(ما يزال يواصل وهو أعلى الشارع)** ... وكذابة !

يــــولانـــــد : . شبابى .. وجمالى ، .. وسحرى ...

نيـــــقـــــولا : سحرها ؟... جمالها ؟... صحيح ، حينما كانت تريد هدايا أو تريد السفر .

يــــولانـــــد : **(وهى تنتحب)** – لن أنساك أبداً .

نيـــــقـــــولا : وتبكى . ولكنه قتل نفسه لأن هذه المرأة أرادت ذلك !

يــــولانـــــد : **(تنتصب)** – لا تصدقوا هذا ! ... لا أحد يصدق هذا . **(مخاطبة الميت)** حبيبى . الحقيقة أنا تصورت أنك كنت تمثل علىَّ كعادتك دائماً .

نيـــــقـــــولا : **(ساخطا)** يمثل ! إليكم ما حدث : سيدى ، شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره ، كانت سعادته الوحيدة فى الحياة هى حبه لهذه المرأة ... سيدى هذا قرأ قبل

قليل رسالة موجهة منها إلى أحد أصدقائه تبدؤها بعبارة "حبيبى " وحبيبها هو الرجل الآخر . هذه أشياء تقع كل يوم ونقرؤها فى الصحف (**للجمهور**) ولكن حينما عرض عليها سيدى هذه الرسالة وهو فى قمة الأسى والحزن ، هل تعرفون ماذا فعلت هذه المرأة – وهو ما قد لا تفعله زوجاتكم - لقد راحت تضحك وتغنى .

يـــولانـــد : (**للميت**) تصورت أنك كنت تبكى لكى تثير حنانى وشفقتى . وربما أيضا لكى تحفظ ماء وجهك وتحافظ على كرامتك .. وأنك كنت تبكى مراعاة للأعراف الاجتماعية ، ولكى أثبت لك أننى لم أكن مخدوعة بدموعك ، فقد غنَّيت .. بالرغم منى أيضا ، لأننى كنت مع ذلك منزعجة قليلا . ولكننى ينبغى أن أعترف بالحقيقة ، لقد غنَّيت فعلا .

نيـــقـــولا : " احكى لى عن حبك
احكى لى وعيدى ، (**إلخ**)
(**تغنى**)

نيـــقـــولا : (**بصوت خفيض**) – حينئذ ، تناول سيدى المسدس . وهو الآن يموت (**عاليا**) وزوجته تغنى ، ما تزال تغنى . اسمعوها !

يـــولانـــد : (**تفاجأ بأنها ما تزال تغنى**) غنيت بكل بلاهة . ولكن كان ينبغى عليك أن تفهم . صحيح أنك لم تفهمنى أبداً

نيـــقـــولا : وليس من المستبعد أبداً أن يسمع سيدى كل هذا الكلام . ما أبأس ميتة الرجال !

يـــولانـــد : ردَّ علىَّ يا حبيبى . شاور لى بجفونك التى ما تزال مفتوحة ... هل تسمعنى ؟ أوه ! نيقولا ! جفونه تتحرك ! بسرعة ! جرَّاح بسرعة ! سيدك ربما لم يمت تماما . بسرعة ! (للميت) إذن ، هل تسمعنى ؟ الحمد لله ! إذن هل تستطيع أن تقول كلمة ؟ طمئنى يا حبيبى !

نيـــقـــولا : لا تفكر إلا فى نفسها .

يـــولانـــد : طيب قل اسمى .

نيـــقـــولا : الفاجرة !

يـــولانـــد : اسمى الذى كنت تحبه كثيرا : يولاند .

نيـــقـــولا : سيدى يتعذب . يتعذب أكثر لأنه يعرف أن هذا هو آخر عذابه . ومع أنه يبدو ساكنا ، ككل الموتى الشبان ، إلا أنه يصارع كالمجنون . تُنتزع منه عاداته القديمة ويدخل غريبا فى السر الكبير . إنه يختنق وهو أعمى وأصم فى مجال يتقلص من حوله ويضيق . وهى ، هل سمعتموها ؟ تريد منه أن يطمئنها ! هى ! تريد منه أن يقول لها اسمها ! أوه !

يـــولانـــد : يقولا ! إنه يتحرك ! يهتز ! سيتكلم ! حبيبى ! حبيبى ! ردَّ علىَّ . (**بصوت محايد ، تلاحظ**) إنه ينهض ! إذن ، تلك الطلقة النارية ... هذا الدم ... ما هذه التمثيلية إذن ؟ أنت لم تمت ؟ إذن تكلم ! ا شعورك ؟ كيف حالك ؟

أولـــيـــس : (**الميت ، على عكس كل التـوقـعـات ، يرد قـائلا :**) فى منتهى العظمة ...

يـــولانـــد : (**ترتعد من الخوف**) - نيقولا !

أولـــيـــس : ... ومندهش .

يـــولانـــد : (**كالسابق**) - نيقولا !

أولـــيـــس : يبدو لى أن كل شىء يجرى بسرعة جنونية ، لكن تفكيرى ما يزال أسرع . لذلك ، لدى انطباع ببطء غريب .

يـــولانـــد : نيقولا !

نيـــقـــولا : (**بالقرب منها ، وبكل بساطة**) سيدتى ؟

يـــولانـــد : (**تنتفض مذعورة**) لقد أفزعتنى (**ثم هامسة**) سيدك يهذى .

نيـــقـــولا : من المذنب ؟

أولـــيـــس : لا تناقش يا نيقولا . ما يحدث ، كنت أتوقعه . وأنا حى ، كانت تريدنى ميتا . وأنا ميت تريدنى حيا .

يـــولانـــد : (**فى قمة الفزع**) أنت وهو ، هل أصابكما الجنون ؟

نيـــقـــولا : (**ببساطته السابقة**) أبدا ، يا سيدتى .

يـــولانـــد : إذن الحزن أصابنى بالجنون ؟

نيـــقـــولا : أوه ، كلا ، يا سيدتى ، كل ما هناك أنك هنا زيادة .

يـــولانـــد : (**التى لم تفهم**) - زيادة ؟ كيف أنا زيادة ؟

نيـــقـــولا : (**بكل رقة**) انصرفى !

يـــولانـــد : أنصرف ؟

نيـــقـــولا : أوه ! ستعودين ، للأسف . ولكن حينما يحين دورك .

يــــولانـــد : دورى ؟

نيـــقـــولا : فى المشـهـد الأخـيـر (**إلى يولاند التى تصرخ**) لماذا تصرخين هكذا عاليا ؟
هل قرصك أحد ؟ ولكن ، لا ، يا سيدتى أنت لا تحلمين .

يــــولانـــد : إذن ، ما هـذه التمثيلية التى تمثلانها علىَّ أنتما الاثنان ، عقابـا لى على جريمة لا أعرفـها ؟ (**لزوجها**) لكن ، مـادمت تنظر إلينا وترانا ، تكلم . أو إذا كنت تصر على السكوت ، فأغلق عينيك (**صمت**) ولكن مـاذا يجرى هنا ؟

نيـــقـــولا : سيدى أطلق على نفسه الرصاص قبل قليل . هل تعرفين ؟ لا ؟ لابـد أنك خيـر من يعرف ذلك ، مـادمت أنت سبب هذا الجنون .

يــــولانـــد : لا ! لا ! لا أريد أن يتكرر هذا مرة أخرى .

نيـــقـــولا : ربما ، اليـوم . ولكن بعد ستة أشـهر ، ستبدئين بكل فخر واعتزاز تقصِّين أحداث هذه الدقيقة القاضية المميتة – وبعد عـام سوف تقذفين بذكرى هـذه الطلقة النارية بين سيقـان الرجال مثل الصـاروخ لكى ترتعد فـرائصـهـم أمامك .

يــــولانـــد : حبيبى إذا كنت تسمع هذا الرجل ، فلا تصدقه ، فقد كان دائما يكرهنى .

نيـــقـــولا : على أية حـال ؛ الطلقـة خرجت من المسدس . وسـبق السيف العذل كما يقولون . ولا يمكن الرجوع فى ذلك . سيدى سيموت بعد قليل .

يـــولانـــد : لا ، لا أريد ذلك ، لا أريد ذلك .

نيـــقـــولا : إذا كان ندمك صادقا ، فلا تسمّي عليه آخر لحظات حياته . وطبقا لقواعد الانتحار الكلاسيكية ، تعرفين أنه ينبغي عليه أن يسترجع حياته كلها ؟

يـــولانـــد : يسترجع حياته كلها ؟

نيـــقـــولا : وقد بدأ هذا فعلا !

(موسيقى)

يـــولانـــد : إذن ، دعني وحدي مع سيدك .

نيـــقـــولا : لا . ليس لدينا وقت نضيّعه : ثلاثة وثلاثون عاما عليه أن يسترجعها في جزء من الثانية ! انصرفي ، بسرعة !

أولـــيـــس : (**الذي لا يريد أن يسترجع حياته**) - كلا ، لا أريد .

يـــولانـــد : **(للنيقولا)** - أرأيت ، هو لا يريد أن أنصرف .

أولـــيـــس : لا أريد شيئا

يـــولانـــد : ولكنني لا أستطيع أن أنصرف هكذا ، يجب أن أشرح لك

أولـــيـــس : (**الذي لا يفهم شيئا**) تشرحين لي ؟

يـــولانـــد : (**وهي تخر على ركبتيها**) - صدقني . ليس ذنبي وحدي . إذا كنت تعرف ...

أولـــيـــس : لا أريد أن أعرف شيئا . لقد أردت أن أموت . وها قد بدأ كل شيء من جديد .

نيـــقـــولا : إذن ، أسرع يا سيدي . ما إن تمر مرحلة التعذيب حتى ترتاح إلى الأبد .

أولـــيـــس : ولكن لماذا تريد منّي أن أستعرض أيام حياتي من جديد ؟

نيـــقـــولا : أولا ، لأن هذه هى القاعدة .

أولـــيـــس : ولكن لا فائدة من ذلك .

نيـــقـــولا : كلا ، يا سيدى . تصرفات حياتك كلها اكتسبت منذ قليل معناها النهائى .

أولـــيـــس : ألا يكفى أن نعيش مرة واحدة ؟

نيـــقـــولا : وهل هذه حياة تلك التى عشتها ؟ كما يعيش البشر جميعا ... الأيدى مبسوطة نحو الدقائق التى تولد ... نحو الساعة الآتية ... الأيدى مرتعدة على مشارف اليوم الذى يشرق ، كأعمى ، يحاول أن يتنبأ ويخمن قدراً أو مصيراً لا ينفك يولد بصفة دائمة وبلا انقطاع ؟ (**متابعا أوليس الذى يحاول أن يهرب منه**) آه ! سيدى ، لقد عشت كما يعيش الناس جميعا حياتك بأسرها على أطراف مستقبلك .

يـــولانـــد : (**وهى تمسك أوليس**) – حبيبى ! أنا امرأة أفكارك ، حبك الأخير ، حبك الوحيد .

نيـــقـــولا : (**مواصلا**) ... أما الآن ...

أولـــيـــس : الآن ؟ ماذا الآن ؟

نيـــقـــولا : كل شىء قد تغير ،لأن كل شىء فى مصيرك أصبح اليوم فى مكانه النهائى . كل الرؤى والتطلعات قد انتهت . أنت الآن رجل مكتمل ، لم يعد له مستقبل .

أولـــيـــس : (**صائحا**) – أريد منكما أن تلزما الصمت أنتما الاثنان .

(بهذه الصيحة ، الموسيقى التى كانت خافتة ، تعلو وتتضخم . وتتحول إلى طنين متصاعد)

أوليس : **(بشىء من القلق)** ما هذه الضوضاء التى فى رأسى !

نيقولا : اسمع ...

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : انظر !

يولاند : ما هذه السحابة ؟

(الإضاءة التى كانت واضحة ، تظلم)

نيقولا : **(مخاطبا أوليس)** – هذا هو الوصول ... هذا مرور جميع الألفاظ التى نطقت بها خلال حياتك . جميع الكلمات ، جميع الجمل التى شكلتها شفتاك ، تعود حولك وستشاهد الآن العرض .

أوليس : جميع هذه الألفاظ المنسية ستنفصل لكى تمر أمامى الواحدة تلو الأخرى ؟

نيقولا : نعم .

أوليس : إذن ، سنسمع كلاما لا قيمة له .

نيقولا : نعم يا سيدى ، وهو ليس الكلام الذى نأسف عليه .

يولاند : ولكنها عاصفة !

نيقولا : تصوَّرى جميع الألفاظ التى يمكن أن ينطق بها إنسان طيلة خمسة وثلاثين عاما وتصل جميعها دفعة واحدة .

أوليس : **(بمرارة)** عاصفة حقيقية ! نعم ، لكنها عاصفة بلا برق !

نيقولا : لا تكن قاسيا هكذا فى الحكم على نفسك .

أوليس : يا إلهى ! لماذا كنت ثرثاراً إلى هذه الدرجة !

يولاند : (**مخاطبة أوليس**) مادمت تحبنى . تحبنى حتى الموت ، تعال ... اجلس هنا ... وكلمنى عن الحب . قل لى ...

أوليس : (**عنيفا**) - آه ! لا ! (**مخاطبا نيقولا**) اطرد كل هذا الذباب الصغير الثرثار ... اسحق ألفاظى ...

نيقولا : (**وهو يطرد السحابة**). إلى الوراء ! اختفى ! بست ! قلت لك إلى الوراء ! ولكن يا سيدى هناك ألفاظ من كل لون ، وأخرى جميلة جدا . أوه ! هذه مثلا ... لقد اختفت ! يالى من أخرق ! كنت أود أن أقتلها ، هذه الكلمة !

أوليس : لماذا ؟

نيقولا : كلمة قلتها لى ذات يوم وأنت ظالم ومتوتر الأعصاب .

أوليس : ما هى إذن ؟

نيقولا : هذه ... ألا تسمعها ؟ مازال صوتها يدوى فى أذنى قلت لى " يا غبى " .

أوليس : أنت تذكرها أنت أيضا . لكم ندمت على هذه الكلمة . لماذا لم أحدثك عنها مرة أخرى . أنا أعتذر لك يا نيقولا .

نيقولا : للأسف يا سيدى أنت قلتها وإلى الأبد .

أوليس : (**يرفع يده نحو الظلمة**) - ألا يمكن أن نمسك بها ؟

نيقولا : الأسف أو الندم الذى نبديه ليس سوى عملية شطب على الكلام . والشطب لا يمحو الكلمة . إن الإنسان ، وبلا لحظة واحدة من الراحة أو التوقف ، يبدع أشياء نهائية .

أوليس : (**جزعا**) هذه إذن كل الضوضاء التى عملتها فوق الأرض . كل ما قلت وأنا ألقى أشعار فيرجيل - وصراخى حينما أجروا لى عملية جراحية دون تخدير فى أثناء الحرب . وجميع الألفاظ التافهة وانفجارات الغضب وهمسات المتعة ، كل ذلك اللغو العقيم ...

يولاند : انظر يا حبيبى ، إلى العبارات التى كنت تعبر لى بها عن حبك ...

نيقولا : هذا نهاية العرض ...

يولاند : حبيبى . تعال ! لنبق وسط ضوضاء حبنا .

أوليس : (**مخاطبا يولاند**) فاجرة ! فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

نيقولا : نعم ، هذه يا سيدى آخر كلمة قلتها بشفتى رجل حى : فاجرة . هذا هو آخر آخر العرض . انظر ، لقد راحت .

(أوليس يجرى وراء كلماته ويسقط وسط المنصة)

الصوت : فاجرة !

(صمت)

نيقولا : جميع الكلمات التى كان من المفروض أن تقولها فوق الأرض قيلت .

أوليس : فعلا ؟

نيقولا : للأسف !

يولاند : حبيبى ...

أوليس : اسمع !

نيقولا : هنا .

يـــولانـــد : ماذا ؟

نيـــقـــولا : ألا ترى هذه الكلمة التائهة التى تدور ؟

أولـــيـــس : ماذا تقول ؟

الصـــوت : شكرا

نيـــقـــولا : حاجة بسيطة ... اسمع ...

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : شكرا ؟ أى " شكرا " ؟ فى أى تاريخ قلتها ؟ ولماذا ؟ ولمن ؟

الصـــوت : شكرا !

أولـــيـــس : الإنسان يقول " شكرا " كثيرا فى حياته ... ربما كان ذلك من أجل الخبز .

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : ... من أجل دليل أو إعلان فى شارع . وقد يكون من أجل خدمة أداها لنا صديق .- ، ربما كان ذلك لتلك السيدة التى أحرق دمى من أجلها فوق الأرض .

الصـــوت : شكرا .

أولـــيـــس : كلمة مسكينة تائهة . هذا كل ما خلفتُه ورائى . كلمة " شكرا " مجهولة الهوية تدور حول نفسها فى ضوء السماء .

يـــولانـــد : ولكن هاهو ذا العرض يعود من جديد .

نيـــقـــولا : لا !

يـــولانـــد : ولكن انظر !

نيـــقـــولا : **(مخاطبا أوليس)** -- هذه المرة ، هذا العرض لجميع الألفاظ التى سمعتها أنت . منذ أول يوم فى حياتك حتى آخر يوم .

يـــولانـــد : جميع الألفاظ التى تخصنى هنا ؟

نيـــقـــولا : اطمئن ! تلك التى قلتَها لها والتى سمعتها منها فقط وليست الأخرى .

أولـــيـــس : ما أجمل نظام الأبدية والخلود .

نيـــقـــولا : أنت لم تصبح بعد من الأبدية والخلود . أنت تتصارع مع ذاكرتك . هذا كل ما فى الأمر .

أولـــيـــس : اطردها ! اطرد هذه أيضا ! أنا أفضِّل الألفاظ التى قلتها أنا على الألفاظ التى سمعتها .

نيـــقـــولا : نعم ، الناس جميعا يفكرون على هذا النحو . حتى أولئك الذى يستمعون الآن إلى الألفاظ التى قلتَها لهم .

أولـــيـــس : ما أغبانا جميعا .

نيـــقـــولا : هل شاهدت فى حياتك زوجا من الجمبرى ، ذكرا وأنثى ، يحاول كل منهما أن يداعب الآخر ، ثم يسيران " أنجاجيه " يتأبط كل منهما ذراع صاحبه كأنهما فى عرس ؟ شىء مقزز ، أليس كذلك ؟ هذا التقزز نفسه هو ما يثيره اثنان من جنسنا البشرى ، يحاول كل منهما أن يلاطف الآخر ويعبر له عن حبه .

أولـــيـــس : كنت دائما أظن أنك فتى يتحلى بالذوق الرفيع ورقة المشاعر .

نيقولا : هس ! اسمع !

أوليس : لا ! هناك ألفاظ كثيرة أود ألا أسمعها بالمرة .

الأصوات : شكرا يا سيدى .

أوليس : ماذا ؟

الأصوات : بهذه السيارة القوية ...

أوليس : ماذا ؟

الأصوات : لكى أعلِّمك الأدب ستأتى يوم الخميس لتقضى فى الحبس من الثانية حتى الرابعة .

أوليس : الطفلة المسكينة !

الأصوات : آه ! طيب ! لقد بدأ الصيف ينتهى !

أوليس : أى صيف ؟

الأصوات : قذر ! قذر !

أوليس : ليس هذا صحيحا ؛ يا نيقولا ! لقد أخطأ .

الأصوات : أحبك .

يولاند : نعم ! يا حبيبى !

نيقولا : اسكتى ! هذه امرأة أخرى تتكلم .

أوليس : ماذا ؟

يولاند : لا يمكن أن أتصور أن موت إنسان يسبب كل هذه الجلبة .

نيقولا : لماذا تريدين أن يكون موت الإنسان أكثر هدوءاً من حياته ؟ فالموت والحياة وجهان لمصيبة واحدة .

يولاند : مصيبة ؟

نيقولا : نعم . حينما يقابل رجل مثله امرأة مثلك .

يـــولانـــد : اسمع يا أوليس ! سأعترف لك . أنا مذنبة... كان بودى أن أقـول لا ، لأننى أحبك ولأنك تتـعـذب . ولكن كـيف أستطيع أن أنكر ؟ أنت تعرف أننى مذنبة ...

أولـــيـــس : نيقولا ، لمــاذا لم تطـرد هــذه الكلمــة ؟ يا نيقـولا ، أنا ما زلت أفكـر فيها بمعاناة الرجل الذى يريد أن يموت ، الذى يتناول المسدس ويطلق منه الرصاصة .

نيـــقـــولا : ارحميه الآن وقد مات .

أولـــيـــس : فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

يـــولانـــد : هل يمكننى أن أتصور أنك من الغباء بحيث تقتل نفسك .

أولـــيـــس : نعم ، هذه روحك ، أليس كذلك ؟

نيـــقـــولا : سيدى لقـد قـاسيت كثيرا فى خدمتك بسبب طباعك وأنت على قيد الحياة ، فأرجوك ألا تجعل خدمتى لك مستحيلة قبل أن تفارق الحياة تماما . دعنى أصحب سيدتى إلى مكانها .

يـــولانـــد : (**مخاطبة نيقولا**) إذا لمستنى سأصفعك على وجهك . منذ أسابيع وأنا أريد أن أصفعك .

أولـــيـــس : لقد لاحظت ذلك .

نيـــقـــولا : حذار إذا كان يهمك رأيه النهائى الذى سيكوِّنه عنك . إننا ماثلون فى ذاكرته بتصرفاتنا المميزة ، ذات المغزى .

أولـــيـــس : (**مخاطبا يولاند**) لماذا خنتنى ؟

يـــولانـــد : كأن الزوجات يعرفن دائما لماذا يخنَّ أزواجهن .

أولـــيـــس : أخبرينى بالحقيقة .

يــــولانـــــد : أنا أحبك . يا حبيبى . أنت كنت دائما متشدداً أكثر من اللازم ، متزمتا أكثر من اللازم . لم تكن تعمل حسابا للأشياء ... لقد شاء القدر العاثر أن تأخذ هذه القصة مأخذا مأساويا . ولكن جميع الرجال المخدوعين فى الدنيا لا ينتحرون .

(صمت)

أولـــيـــس : نيقولا ، أخبرنى : الأزهار أو الحيوانات الصغيرة التى كنت أحبها ، هل ستشارك فى العرض مع ذكرياتى القديمة ؟

نيـــقـــولا : بكل تأكيد .

أولـــيـــس : لكنها لن تتكلم ؟

نيـــقـــولا : لا ، طبعا ! لماذا ؟

أولـــيـــس : أحسن . فأنا لن أستطيع أن أتحمل أن تكلمنى وردة أو ياسمينة بالطريقة المبتذلة التى تتحدث بها هذه المرأة . تصورها لو كانت تتحدث . كم من المحزن أن نسمع قرنفلة تتلفظ بألفاظ نابية !

يــــولانـــــد : أوه ! هذه الروح المستفزة ! (**ثم :**) سامحنى ، يا حبيبى . أنا أخطأت . وأنا أعترفُ بذلك . كنت ضعيفة ، طائشة ، متهورة . ولكن هل هـذه جريمة ؟ أنت نفسك ، من يدرى أنك لم تخنِّى .

أولـــيـــس : نعم ، أنا خنتك .

يــــولانـــــد : (**كأنما أصابتها صاعقة**) ماذا تقول ؟

أولـــيـــس : أوه ! حياتى الفاشلة كانت أيضا حياة معقدة !

يـــولانـــد : (**مغيظة**) أنت خنتنى ؟

أولـــيـــس : (**بكل بساطة**) ألم تعرفى ذلك ؟

يـــولانـــد : ولديك الجرأة أن ... (**مخاطبة نيقولا**) كنت تعرف ذلك ، أنت طبعا .

نيـــقـــولا : هذا المشهد ليس وقته الآن . اتبع ترتيب سنوات حياتك . ابدأ بالبداية .

أولـــيـــس : ولعل الذكرى التى احتفظت بها من هذه المغامرات التى لا أهمية لها هى التى قتلتنى .

نيـــقـــولا : الذى يقتلك الآن يا سيدى ، هو طلقة المسدس .

أولـــيـــس : فى رأسى ، ذكريات واضحة ودقيقة لجميع تلك النساء .

يـــولانـــد : جميع تلك النساء ، شىء رائع .

أولـــيـــس : ذكريات بلا حب . تطفو فيها النساء فى أوضاع مزْرية .

يـــولانـــد : أوه ! أرجوك . دعك من التفاصيل !

أولـــيـــس : ولم أستطع أن أتصور أن رجلا آخر يحتفظ فى رأسه أو فى جسده بمثل هذه الذكرى المخزية لامرأة كانت زوجتى فى يوم من الأيام .

يـــولانـــد : نيقولا . انسحب !

أولـــيـــس : فى بيته ، نزعتِ عنك ثوبك ، بينما هو ينظر إليك وظهر له ...

يـــولانـــد : أنت مجنون ! لا ترفع ثوبى أمام نيقولا .

نيـــقـــولا : لا يستولى عليك الحياء إلى هـذه الدرجة . هيا . الله موجود . وسيراك عارية تماما ، وبكل تقزز ونفور .

أوليس : ثم نزعتِ عنكِ كل شيء وضاجعك هو ...

يولاند : اسكت !

أوليس : هل كان أول عاشق لك ؟

يولاند : نعم . أقسم لك .

أوليس : وانطرحتِ أمامه على الفراش ...

يولاند : ارحمنى ، اهدأ .

أوليس : أهدأ ؟ وهل يكون الرجل هادئا حينما يتناول مسدسا ويطلق النار ؟ آه ! وشفتاك تنضم وتنفرج لكى تقول هذه البلاهات ؟ أهدأ ! تقولين لى هذه الكلمات بهذا الفم الذى لعق وسال لعابه على جسد الآخر. آه ! كان ينبغى أن أقطع شفتيك قبل أن أقتل نفسى .

يولاند : النجدة ! النجدة !

أوليس : (**الذى يضطر يولاند للركوع ، مخاطبا نيقولا**) أجبنى بصراحة .

نيقولا : أنا تحت أمرك .

أوليس : أنا فى الجحيم ، أليس كذلك ؟

نيقولا : لا ، يا سيدى ، أنت ما تزال مع ذكرياتك .

أوليس : هذا هو الجحيم .

يولاند : دائما يريد أن يعرف أكثر من الآخرين .

أوليس : (**مخاطبا يولاند**) أخبرينى بالحقيقة .

يولاند : ثانية ؟

أوليس : وكونى صريحة ، مادمتُ بعد لحظة ، سأعرف الحقيقة ، حتى لو كذبتِ علىَّ .

يـــولانـــد : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أولـــيـــس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعـثر على أثـر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها.

يـــولانـــد : يا للفظاعة !

أولـــيـــس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يـــولانـــد : لا أريد .

أولـــيـــس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائما كأنما الآخر لن يعرف كل شىء يوما مـن الأيام .

يـــولانـــد : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان - ولو كان الله تعالى .

أولـــيـــس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يـــولانـــد : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أولـــيـــس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيـــقـــولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يـــولانـــد : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شابا وكل ما بقى حتى النهايـة ، ينبغى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أولـــيـــس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ البداية حتى لا أصل إليك - حتى لا أعرفك ...

يـــولانـــد : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أولـــيـــس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعـثر على أثـر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها.

يـــولانـــد : يا للفظاعة !

أولـــيـــس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يـــولانـــد : لا أريد .

أولـــيـــس : نعم ... الإنسـان منا يعيش دائمـا كأنما الآخر لن يعرف كل شىء يوما مـن الأيام .

يـــولانـــد : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان – ولو كان الله تعالى .

أولـــيـــس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفيـة للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يـــولانـــد : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أولـــيـــس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيـــقـــولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يـــولانـــد : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شـابا وكل ما بقى حتى النهايـة ، ينبغـى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أولـــيـــس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمـر عـلاقـتى بك ، لالتـزمت الجـمـود منذ البداية حتى لا أصل إليك – حتى لا أعرفك ...

يـــولانـــد : لا تنكر الأوقات السعيدة التى قضيناها معا ...

أولـــيـــس : نيقـولا ، الرسـالـة – رسالة زرقـاء – تبـدأ هكـذا : " حبيبى ... " أنا قرأتها .
(مخاطبا يـولانـد) كنت أعتقد أنك كتبتها لى لنا " حبيبى " كانت طريقة كتابتك توحى بأنها لى ، تماما . ولكننى وأنا أقرؤها عرفت أن رسالتك تخص شخصًا آخر ، كتبتها بخطك ، باسمك ، لشخص آخر .

نيـــقـــولا : سيدتى ، أنت المسئولة ، ليس فقط عن موته ، وإنما عن كونه يموت ميتة صعبة .

أولـــيـــس : إنك حـتى لـم تغيـرى اسـمك ، لـم تغيـرى خطـك ، ورسـالتك كـانت هناك ، كـقطعـة الأثاث ، كـالشـجـرة ، كـالحـجر ، تقـول لك :" أنا من أنا ولا أسـتطيع أن أكـون شيئا آخر

يـــولانـــد : نيقـولا ، مـادام لـم يعد هـناك فـوق الأرض سواك بينى وبينه ، وأنك وحدك الذى تستطيع أن تغلِّب كفة الأصوات ، قل لسيـدك إنه أنانى وأننا لا نتـرك زوجـة فى مـثل هذه الحالة إذا كنا نحبـها ! مـاذا سـأقـول لأصدقائه غدًا ؟ أصدقاؤه الذين لا يحبونه ، الذين لو استطاعوا لما ترددوا فى النوم معى، نعم ، كلهم ، أنا أعـرف ذلك ؛ إن الفتـاة الصـغـيـرة تدرك مـثل هذه الرغـبـات . ولكنـهم ، غـدا سيتباهون باحتقارى – سينقمون علىَّ لكى يقنعونى أنهم كانوا يحبونه !

أولـــيـــس : أريد أن أرحل .

نيـــقـــولا : نعم ، تعال بسرعة

يـــولانـــد : لماذا لم تعطنى الفرصة لمواساتك ؟

أولـــيـــس : تحدثينى حديث المربيات .

يـــولانـــد : مع الوقت ، كنت ستنسى .

أولـــيـــس : أنسى ؟

يـــولانـــد : نعم هناك أمثلة كثيرة مشهورة .

أولـــيـــس : أنا لا أريد أن أنسى .

يـــولانـــد : إذن لماذا لم تعطنى الفرصة لكى أندم ؟ كنا سنتقدم فى السن مثل الآخرين .

أولـــيـــس : وفضيلتى تغرق فى العادات ؟ كلا ! لقد أردت حياةً من نار .

نيـــقـــولا : تنتهى بطلقة من نار .

أولـــيـــس : من نار ؟ هل سأظل إلى الأبد فى هذا الجحيم ، وأمامى هذه الرسالة الزرقاء ، وهذه الزوجة الفاسدة ؟ يا إلهى ! ولكننى قبل أن أكون رجلا ، كنت طفلا صغيرا سعيدا – وقبل أن أكون طفلا ، لم أكن سوى رغبة فتيَّة لوالدىَّ – إلهى ، أسألك العودة إلى تلك الحقبة التى لم يكن حتى لأبوى فيها وجود . إلهى ، استرد روحى ، استرد جسدى ، هبنى القدرة على أن أمحو أثر مرورى على الأرض ، بل وعلى تدمير ذكرى المغامرات الكبرى التى كنت أحلم بأن أكون بطلا لها .

(يخر راكعا)

نيـــقـــولا : لابد وأنه كان يحب رغباته وأحلامه وأعماله التى لم تتم ، حتى إنه ليتعذب كثيرا لانتزاعه منها .

أولـــيـــس : نيقولا ، ما هـذه المعجـزة التى تجعلنى أتعذب كل هذا العذاب من هجر ما كان من الممكن ألا أعرفه ؟ إلهى ، قيِّض لى أن أنسى أفكارى الحاضرة .

(ضوضاء هائلة فى الكواليس)

نيـــقـــولا : **(من أعلى الشرفة)** – هل يشك سيدى أن طلقة نارية يمكن أن تحرك أشياء كانت لا تتحرك؟ المنزل يتعرض للغزو الكامل، لقد امتلأ بمعارف قديمة ، وأثاث قديم ، والبقية تأتى . لقد امتلأ الشارع ! من كان يظن أن سيدى لديه كل هذه الذاكرة ؟ سيكون هناك ناس أقل فى جنازتك .

يـــولانـــد : حبيبى ، هل تذكر أنك كنت تحبنى أكثر من أى شىء فى الدنيا ؟

أولـــيـــس : ومازلت أحبك أكثر من أى شىء فى الدنيا ، للأسف .

يـــولانـــد : فلنحرق هذه الرسالة .

أولـــيـــس : **(لنيقولا الموجود فوق)** فى هـذه الفوضى ، ابحث لى عن يوم أمس ، سنقوم بالقضاء عليه ، بإحراقه **(ليولاند)** ذلك اليوم الذى انطرحت فيه عارية من أجل رجل آخر ...

نيـــقـــولا : سيدى ، سيدى ، آنية قديمة ، وصور بلا أطر ، ومصاصات ، ولعب مكعبات ، ورجل مسن يعرج فى

مشيته ، وعربة بحصان تتقدم تحت ضوء القمر ، وأنت بداخلها تغط فى النوم - وجميع تلك النساء ! أوه ! أوه !

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : هذا لم يعد طلقة من مسدس ! بل دوىٌّ جرس رائع !

يولاند : (**وهى تحاول أن تمسك أوليس**) - حبى الكبير !

نيقولا : سيدى . كل شىء قد حضر . حياتك بأسرها ! الرجال والنساء والأثاث والأولاد والبنات والكتب وأشياء أخرى من كل صنف ، بدءًا من المولِّدة التى أخرجتك إلى الدنيا حتى بائع السلاح ! فيما عدا احترامك ، تعرض كلها فى لمحة عين مع جميع ملحقاتها . عمرك البالغ ثلاثة وثلاثين عاما كأنه سوق خردة أو جراج للروبابيكيا .

يولاند : حبيبى . أغمض عينيك ، ابق بين ذراعىَّ .

نيقولا : أكثرهم هياجا ، كرسى فوتوى بالقطيفة الحمراء ذراعه اليسرى ملطخة بحبر أخضر .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : ويوجد فوقه طفل صغير يبول .

أوليس : هذا أنا . (**ليولاند**) أنا رويت لك ذلك . هذا أوليس الصغير .

أصوات رجال ونساء : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (**وهى تمسك أوليس**) لماذا لم تحاول أن تفهمنى فى عواطفى الكبيرة كما فهمتنى فى نزواتى الصغيرة ؟

نيقولا : سيدى ! أمطار جليدية تسقط ، وأنت تلعب بهذا الجليد ، أول جليد فى حياتك .

أوليس : هل معى قطتى الصغيرة تحت إبطى ؟

نيقولا : لا ! لقد هربت قبل قليل ، وهى تهز قوائمها على إفريز النافذة .

يولاند : كن عادلا : لقد عشت معى فترات صمت طويلة ، فترات غياب طويلة .

أوليس : **(شاردا)** وقد عرفت كيف تستغلينها !

نيقولا : سيدى ! تلك القطة الصغيرة ، أنت تقوم بدفنها فى الحديقة فقد ماتت منذ ساعة

أوليس : اسكت يا نيقولا ، إن قلبى ثقيل تغشاه الكآبة .

يولاند : حبيبى !

أوليس : فى صدرى ، صدر الطفل ، قلبى تغشاه الكآبة ؛ هذه القطة الصغيرة لن تعود للحياة أبداً . وحتى لو صرت شيخا طاعنا فى السن كأمثال أصدقاء والدى ، فإننى لن أستطيع أن آمل منها أن تأتى ذات صباح ، صباح واحد ، فتوقظنى كما كانت توقظنى وهى تقفز فوق فراشى .

يولاند : أنت طفل صغير .

أوليس : كان عمرى ثمانية أعوام ، وكنت أعيش مع ميتة .

نيقولا : لكنها هنا يا سيدى ، تنتظرك .

الأصوات : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : **(لأوليس)** – يولاند هنا يا حبيبى ، بين يديك .

أوليس : أخبرينى . هذا الرجل هل كنت تحبينه ؟

يـــولانـــد : لا ، بل ظننت أنى أحبه .

أولـــيـــس : وخلال تلك الساعات ، كان الأمر بالنسبة له وبالنسبة لك كأنك كنت تحبينه.

الأصـــوات : أوليس ! أوليس !

أولـــيـــس : وخلال تلك الساعات ، أين كنت أنا ... أنا الذى كنت أفقد سعادتى ؟

نيـــقـــولا : سيدى ؟ هل لى أن أقول شيئا معقولا ؟ هل تسمح لى بأن أذكرك بأنك انتحرت لكى تنسى هذه المرأة ؟

(الأم " فينو " وهى عجوز نحيفة من عامة الشعب تتقدم الذكريات)

الأم فـــينو : من هنا ...

الأصـــوات : أوليس !

يـــولانـــد : هاهم أولاء ! لن أتركك بعد الآن . تعال !

الأم فـــينو : أسرعوا ! إنه ينصرف ...

الأصـــوات : أوليس !

أولـــيـــس : يولاند – بإمكانى الآن أن أكون حيا بين ذراعيك الحيّتين ، وأعتقد فى السعادة .

يـــولانـــد : أحبك ! تعال .

(تسحبه ويخرجان)

نيـــقـــولا : (**إلى الذكريات**) لا تتدافعوا !

مـــادلـين : حاسبوا !

المجـــهـــولة : أود أن أستلقى وأنام .

نيـــقــــولا : هدوء ! أولا هو ليس هنا !

المـــديـــر : **(داخلا)** أوليس !

المجـــهـــولة : **(مشيرة إلى مدير المدرسة)** من هذا الشخص ؟

مـــــادلين : هذا رجل سمج **(ثقيل الظل)** . حذار ! إن لديه حكاية حول كل كلمة .

المجـــهـــولة : ماذا ؟

مـــــادلين : **(صارخة ، متوترة)** أسرٌ إليكم أن هذا بائع بيانوهات .

المـــديـــر : بهذه المناسبة ، أنا مدين له بأجمل إجابة أدلى بها إليَّ طالب خلال مدة خدمتى الطويلة كرجل تربوى مغمور .

مـــــادلين : آه لقد بدأ !

المـــديـــر : ذات يوم سألت التلاميذ : ما أجمل آلة موسيقية ؟ أنا أعترف بأن هذا السؤال مع أنه خارج المقرر ، إلا أنه ليس أكثر ذكاءً من غيره من الأسئلة. المهم ، زملاؤه فى الفصل رفعوا أصابعهم قائلين : سعادة المدير ... البيانو !

المجـــهـــولة : **(إلى مادلين)** برافو !

المـــديـــر : وآخرون أجابوا قائلين : لا ، لا ، إنها الكمان . إنها الكنترباس ، إنها البوق . وقال فنان شاب : إنها القيثارة . أما هو وحده ، فقد أجاب قائلا : سيدى المدير . إنها صوت الإنسان .

مـــــادلين : حقا ؟ طز !

(صيحات)

الأب : **(بلهجة أهل مرسيليا)** – أفسحوا لى حتى أدخل ، يا إلهى ، قلت لكم إنى والده ، أنا أبوه !

(يبدو عجوزًا بلحية بيضاء)

النســــاء : **(باحترام)** أبوه !

الأب : لم أره منذ ثلاث سنوات . لقد فارقت الحياة . لكنه فى هذه اللحظة يفكر فىَّ .

أنا أشعر به . إنه يبحث عنى . سأذهب لاستقباله وآتى به إليكم .

(يخرج)

مــــادلين : بسرعة ، هه !

الأم فــينو : لماذا تطلبون منه أن يأتى بسرعة .

مــــادلين : حتى ننتهى بسرعة .

الأم فــينو : سيداتى ، بادئ ذى بدء أود أن أعبر لكن عن عميق احتقارى .

مــــادلين : ولماذا أيتها الساحرة الشمطاء .

الأم فــينو : أنا أعرف مع من أتحدث . أنا أتحدث مع زمرة من الفاجرات . هس ! نحن النسوة يعرف بعضنا بعضا بسرعة . الرجال يطلبون منا النصائح لتكوين رأى معين . أما نحن النساء ، فيكفى أن تنظر إحدانا إلى الأخرى لكى تكوِّن رأيها ، لكى تحكم عليها .

المجــهــولة : أنا لا أسمح لك ...

الأم فــينو : يؤسفنى أن أقول لَكُنَّ إن ذكريات أوليس الصغير ليست هى الذكريات التى يستحقها . ولكن – صبرا !

مـــــــادلـين : **(مشيرة إلى ثوبها)** أوه ! إننى أضيـق بهذه الثيـاب . أولا ، انظرن كيف أبدو فى هذه الثيـاب العتيقة. شىء فظيع أن تتغير المودة فى عشر سنوات .

المجـــهـــولة : وأنا ! قدماى مبتلتان . لكى يتذكرنى هـذا الغلام ، كان عليـه أن يختـار يومـا آخر - يومـا آخر أكون فيـه أكثر استعدادا - وقدماى جافتان .

مـــــــادلـين . وأنت ما اسمك ؟

المجـــهـــولة : لا أعرف .

مـــــــادلـين : كيف ، لا تعرفين ؟

المجـــهـــولة : لا أذكر شيـئا على الإطـلاق . لا أعـرف من أين أنا آتيه ، ولا أعـرف إلى أين أنا ذاهبـة . لكن قـدمىَّ مـبـتلتـان . ويسـتولى علىَّ حـزن غريب يذكـرنى بمصيبة وقـعـت ، أو ينذرنى بمصيبة ستقع .

الأم فـــــينو : وأنت ، ألم تتمكنـى من كسـب ودِّه ؟ لقـد قلت لك إنك لم تكونى تحبينه .

مـــــــادلـين : وهل تعـرفـين أنت مـعنى الحب ؟ إيه تكلمى إذن . أنا أسمعك ... لا ، دعـك من الشتائم ! أنا جريت وراء رجال كـانوا يهبـوننى المتـعـة ... لكن لم يكن هذا هـو الحب . وانتظرت ، بكل عـرفـان وامـتنان، رجـالا أعطونى المال ، حـين كنت فى حـاجـة مـاسـة إليـه ، وبذلك منعـونى من ارتكاب كثير من الحماقات . ولكن لم يكن هذا هو الحب . واستمعت لشبان ظرفاء وأنا مـغمـضـة العينين - ولكن

لم يكن هذا هو الحب . ورحلت مع رجل صحبنى فى رحلاته . وشاهدت معه بلادا كثيرة ، ومدنًا ، ومقا هى وجبالا ، وبحيرات وقرى وفلاحين ، وكان هذا الرجل يضربنى . وقد انتقلت معه فى البلاد سنوات ، ولكن لم يكن هذا هو الحب . بعد ذلك ، ولما تعبت من السفر ، فضلت أن أستقر فى بيت لا أغادره . وهناك ، عرض علىَّ رجال كثيرون ، وكانوا يعودون لرؤيتى مرة أخرى . لم يكونوا يفكرون إلا فى الحب - ولكن لم يكن هذا هو الحب أبدا ، أبدا .

المجهولة : بكل تأكيد ! بعد الرجل الأول ، ينتهى الحب ! ولكن هذا الأول يجب أن نحبَّه لكى نهب له أنفسنا ... نعم ... أنا أذكر ...

مادلين : الأول ؟ كنت أريد أن أتعلم ... كان مجرد فضول ، لم يكن حبا .

(بيت تدخل)

بيت : أوليس ؟

مادلين : إيه ، ماذا عن أوليس . هيا ، تكلمى . أنا أسمع لك .

بيت : **(وهى تفك أزرار ثوبها)** - انظرى !

المجهولة : هذه رصاصة ؟

بيت : نعم .

مادلين : هل قتلك ؟

بيت : أوه ! لا ! أنا التى أطلقت النار .

مــــــادلين : قتلتِ نفسك من أجله ؟

يـــــيـــت : كلا ! لقد أخطأتُ التصويب : وقضيتُ ثلاثة أسابيع فى المستشفى . هذا كل ما فى الأمر .

مــــــادلين : ولكنك كنت مجنونة يا حبيبتى .

المجــهــولة : كنت تحبينه لدرجة أن ...

يـــــيـــت : نعم .

مــــــادلين : وهو ، هل كان يحبك ؟

يـــــيـــت : أعتقد . لست أدرى . لكننى مازلت أحبه ... أحبه . وسأظل أحبه إلى الأبد .

(تبكى)

مــــــادلين : وماذا قال لك ، بعد ذلك ؟

يـــــيـــت : أنا لم أره بعد ذلك . أبدا . ومع ذلك وأنا أعيش حياة عادية . مرَّ بعض الوقت ، وقابلت شابًا طيبًا ، تزوجته وعندى منه طفلان . والآن أعيش فى الريف فى هدوء .

(تصل يولاند وتحاول أن تشق لها طريقا وسط مجموعة من النسوة يردن الدخول أيضا)

يـــولانـــد : دعننى أدخل . أريد أن أدخل ! يا إلهى ، يالهن من سوقيات ! غريبة ! نساء أخريات هنا ! سيتضايق أوليس جدا لأنه وضعنى وسط هؤلاء !

مــــــادلين : (بلهجة هجومية) ماذا ؟

يـــولانـــد : أسأل نفسى كيف أن امرأة مثلك يمكن أن يكون لها مكان فى ذاكرة زوجى.

نيـــقــولا : هيا . لا عليكن . لقد أحببتكن الواحدة تلو الأخرى .

مـــــادلين : وليس فى بيت واحد بطبيعة الحال !

يـــولانـــد : حينما نرى أنفسنا جميعا هنا ، ألا ترين أن ذاكرة الرجال من نوع ردىء للغاية ؟

الأم فـــينو : لا تذكُرْن أوليس بالسوء ، إنه فى الخامسة من عمره . وشعره أشقر جميل ، وأنفه صغير يرتفع نحوى . ويداه طويلتان . أبحث عنه فأجد مكانه نسوة مضطربات لا تشبه إحداهن الأخرى !

(النساء مغتاظات . الأم مرهقة فتجلس)

(يصل شابان . الأول هو ماكسيم ، والثانى شاب فى زى عسكرى يعود إلى عام ١٨٧٠)

ماكسيم ٢٠ : إذن فأنت لا تعرفه ؟

الجـــــد : لا . ولاحظ أننى جده !

ماكسيم ٢٠ : جده ؟

الجـــــد : كل شىء يصبح واضحًا إذا علمت أننى مت وأنا فى العشرين من عمرى فى " جرافيلوت " . كانت زوجتى حاملا فى شهرها السادس . كانت تنتظر طفلة . أوجينى الصغيرة التى لم أراها أبداً

ماكسيم ٢٠ : أنت مت وأنت فى سن العشرين ؟

الجـــــد : فى سن العشرين !

ماكسيم ٢٠ : عفوا لفضولى وسؤالك ؛ فى مثل هذه الظروف ، ماذا تعمل هنا ؟

الجــــــــد : أنا جــئـت مع أثـاث الصـالون . فى الإطـار الذى شـاهدنى فيه أوليس كثيرا وهو راكع فوق أحد الكراسى لكى يرانى عن قرب . أنا آسف للحديث كثيرا عن نفسى . أنت أحد أصدقاء حفيدى ، أليس كذلك ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أعـز أصدقائه . وقـد تصافحنا آخـر مـرة أمـس فقط ، هنا بالضبط ، وبالمصادفة البحتة .

- " صباح الخير يا صديقى العزيز

- " كيف حالك يا صديقى ؟ "

لا شىء أكثر من ذلك ، لا تتصور شيئا آخر. أقسم لك . مثل هذه الدناءة لم تكن جالت بفكرى بعد .. فضيحة ، يا سيدى ،...

الجــــــــد : ماذا بك ، يا سيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : أقسم لك : لم أكن أعرف أنه سينتحر . ثم كان كل منا قد غاب عن صاحبه فترة من الوقت . أولا ، أنا متزوج وعندى ثلاثة أبناء . وأنـا أعمل مهندسا للطرق والكبارى ، وحاصل على وسام " جوقة الشرف " . إذن لم يكن لدينا شىء مهم نقوله .

الجــــــــد : (**مندهشا**) - مهندس ، متزوج ، وثلاثة أبناء ؟

ماكسيم ٢٠ : نعـم ، قـد أبدو أمـامك صـغيـرا إلى حد مـا . ولا أدرى لذلك سببا ، لأننى فى الحياة حاليا لى شارب كبير أسود وبطن كبير إلى حد ما . عجيبة . ومع ذلك فعمرى سبعة وثلاثون عاما .

الجـــــــد : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : وقبل قليل وعلى حين فجأة ، عدت إلى مطلع شبابى دون أى تفسير .

الجـــــــد : ربما بسبب حفيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : ربما . ثم علينا أن نجد لأنفسنا الأعذار . فلا يمكن أن يظل الإنسـان منا فى العشرين من عمره إلى الأبد .

الجـــــــد : بلى . أحيانا ، للأسف !

ماكسيم ٢٠ : كيف ذلك ؟

الجـــــــد : انظر إلىَّ ، أنا سأظل فى العشرين إلى الأبد .

ماكسيم ٢٠ : شىء عجيب .

الجـــــــد : لا . هـذا يحـدث كثيرا . ولكـن الآخـرين لا يفكرون فيه . هـذا كل ما فى الأمر ...

(يدخل الأب والابن)

أولـــيـــس : لن أسمح بأى عتاب أو توبيخ .

الأب : لعلك تريد من أبيك أن يهنئك ؟

نيـــقـــولا : آه ! سيدى ، لقد بحثت عنك تحت جميع قطع الأثاث ، بين النساء ...

أولـــيـــس : رأسى فى دوامة من ضحك الأطفال والهرج والمرج السعيد ...

نيـــقـــولا : سعيد ؟ ماذا كنت أقول لك ؟

أولـــيـــس : أعرف بأى ألفاظ ينضج هذا المزاح السعيد .

الجـــــــد : **(مخاطبا ماكسيم)** - والآخر - العجوز ذو اللحية ، من يكون ؟

الأب : (**إلى أوليس**) ستستمع الآن إلى أبيك العجوز .

الجـــــــــد : هـذا الشـــيخ ... صـغـيـرتى أوجينـى ! ؟ أوجـينـى ؟ ! يا للفظاعة !

أولـــيـــس : (**لنيقولا**) - كل هذه الذكريات انقضت علىَّ أشد وأعنف من مائـة امـرأة غيور .

الأم فـــينو : (**للجد**) - نعم ، هذا الشيخ ، هو أملك فى طفلة صغيرة !

أولـــيـــس : حـينمـا يكـون المرء مـنا على قـيـد الحـيـاة ، ويفكر فى ماضيه ، فإن النسيان يجعلنا نختصر أشياء لم تكن فى الحسبان ... لم أكن أتصور أن حيـاتى طويلة إلى هذا الحد وحافلة بالأحداث ...

الأب : أريد منك أن تبرر موقفك ...

أولـــيـــس : الذى أدهشنى هو عـدد الدقـائق والسـاعـات الضـائعـة . دقائق الانتظار ، كـم هى طويلة وكثيرة ... كـأنها علامات على الطريق ... الساعة الثانية إلا خمس دقائق... ننتظر حتى الساعة الثانية ! خمس دقائق لا يحدث خلالها شىء سوى أن ننتظر حتى الثـانيـة ... ننتظر امـرأة . ننتظر الحافلة . ننتظر تحرك القطار - ننتظر الساعة حتى تدق ... تصـور (**إلى الأب**) فى حـياة طويلة مـثل حـيـاتى ، أنا متـأكد أن الدقـائق التى ضاعت فى الانتظار وحدها يمكن أن تشكل حياة بشرية بأكملهـا ، أقـصـر من حـيـاتى ، ولكنها قد تكون رائعة .

الأب : (**بشىء من الضيق**) آه ! الموت لم يغيرك !

نيـــقـــولا : لكنه ما يزال حيا يا سيدى ! الوقت اللازم لإنهاء هذه الرحلة .

أولـــيـــس : لا . أنا قررت أن أجلس هنا ، وألا أسمع شيئا وألا أرى شيئا .

(إلى نيقولا) عفوا يا صاحبى ، أريد أن أبقى وحدى .

الأب : الطفل الذى بذلنا من أجله أعظم التضحيات !

الأم فـــينو : **(للجد)** – هيا ! إنه ينتظرك أنت .

(تصحبه)

أولـــيـــس : جدى !

الأم فـــينو : واسمه أوليس ، مثلك .

أولـــيـــس : أنت ... ! أنت ! ... أنت !

(يعانقه ويبكى)

الجـــــد : أنا أدرك انفعالك وتأثرك – وأنا نفسى ...

أولـــيـــس : جدى ، أودُّ ... أن أدعوك " جدى " كنت دائما أفكر فيك بهذا الاسم ...

الأم فـــينو : **(وهى تسحب الجد)** – وذو اللحية البيضاء هذا . ألا تقبله ؟ إنه ابنك .

(موقف صعب عسير)

الأب : **(للأم)** تعرفين أن هذه أول مرة نلتقى فيها .

الأم فـــينو : حسنا . حاول أن تكون أقل عبثا من الموقف . على أية حال هو أبوك .

أولـــيـــس : **(للجد)** – لقد حاولت دائما أن أستخلص السمات التى انتقلت إلىَّ منك ، الصفات التى عاشت منك فى

شخصى . وحينما بلغت العشرين وأربعة أشهر وسبعة أيام – أنت قتلت فى هذه السن ، ظللت طوال الليل أرتعد . أنا أيضا كنت جنديا في الجيش ، فى الشمال . وكم كان غضبى شديدا حينما كانت تشرق الشمس بعد تلك الليلة التى تمثل موعد موتك فى حياتى .

الجـــــد : عزيزى أوليس !

أولـــيـــس : كنت أعيش في الجبهة – كانت المرة الأولى التى أدركت فيها كم كانت حياتك قصيرة فوق الأرض . كنت أقول لنفسى : " فى مثل عمرى ، كان كل شىء قد انتهى بالنسبة له . "

الجـــــد : ولكن ، لماذا إذن ترتكب هذه الحماقة اليوم ؟

الأب : أرأيت ، حتى جدك يقول إنها " حماقة "

الجـــــد : لماذا ؟ هل كنت فقيرا محتاجا ؟

أولـــيـــس : فقيرا ؟ لا . ياله من سؤال غريب !

الأب : بابا مثلى ، يريد أن يفهم . ولكنك تضيع وقتك . من المستحيل أن نفهمه. تصور ، لقد تطوع فى الحرب ...

الجـــــد : هل كانت الحرب ما تزال مستمرة ؟

الأب : نعم .

الجـــــد : ضد بروسيا ؟

الأب : طبعا .

الجـــــد : مرة أخرى ؟

الأب : نعم .

الجـــــــد : ولكن ماذا كان مصير حربنا نحن ؟

الأب : خسرتموها .

الجـــــــد : وحربكم ؟

نيـــقـــولا : كسبناها .

الجـــــــد : ما أسرع الأحداث !

أولـــيـــس : فى كتب التاريخ ، هذا صحيح .

الأب : بعد الحرب التى خسرتموها كنا أسعد حالا مما كنا بعد الحرب التى كسبوها ! صحيح أنها استمرت ! استمرت ! كانت مستمرة حتى ثلاث سنوات مضت حينما تطوع فى الجيش بدلا من أن يدعنى أعيش شيخوختى فى هدوء مع حبى الأبوى .

الجـــــــد : ثلاث سنوات .

الأب : لقد استمرت أكثر من أربع سنوات .

الجـــــــد : لا تقل هذا يا صغيرى .

الأب : لم يركن للهدوء أبدا .

أولـــيـــس : هدوء فى العالم الذى قدمه جيلكم للأطفال فى مثل سنى ؟

الأب : (**مغيظا**) – هل ستحملنى مسئولية الحرب ؟

(يدخل مدير المدرسة)

أولـــيـــس : آه ! سيدى المدير ! تفضل يا سيدى المدير .

نيـــقـــولا : (**بكل لطف وكياسة**) هل من جديد ، يا سيدى المدير ، غير الإنذارات الليلية وقصف القنابل ؟ آه ! الحزن الذى يخيم ليلا على صوت صفارات الإنذار داخل المخابئ والكهوف .

المـــديـــر : يا صغيرى أوليس ، أنت فخر مدرستى . ستذهب بعيدا وسترفع إلى أعلى عليين .

أولــــيــــس : لا أعرف إذا كنت سأصل بعيدا ، لكن من المؤكد أننى سأرتفع إلى أعلى عليين لأننى سأعمل طياراً .

المـــديـــر : أنت ! البارع فى فقه اللغة اللاتينية !

أولــــيــــس : وهل اللغة اللاتينية تتعارض مع الملاحة الجوية ؟

المـــديـــر : طيار ؟ لماذا ؟

أولــــيــــس : أمام حروبكم العصرية ، لأن المرء لم يعد بإمكانه أن يصبح جنرالا فى سن العشرين ، هل بقى لنا شىء آخر سوى المعارك الفردية التى يخوضها المرء برشاشه وحظه ؟

المـــديـــر : ولكن تلاميذ فصلك لم يُستدعوا بعد للتجنيد .

أولــــيــــس : إن فخر مدرستك ينبغى أن يكون من الذكاء بحيث يتخذ لنفسه موقعا فى حرب عالمية . ليس أمامى إلا أحد احتمالين : أن أتطوع أو أن أهرب من الخدمة .

المـــديـــر : أنت مجنون . لكى تهرب من الخدمة يجب على الأقل أن ننتظر حتى يتم استدعاؤك للخدمة العسكرية ... وأبوك الذى كان يقول لى بالأمس إنهم تنبئوا لك بمستقبل باهر .

أولــــيــــس : حسنا ، إن حربا عالمية يبدو لى أنها مستقبل باهر لشاب مثلى فى سن الثامنة عشرة .

المـــديـــر : ولكن العلوم ؟ والفنون ؟ وشعراءنا ؟

أولــــيــــس : (**ساخرا**) - مدافع ! ومؤن وذخيرة !

المـــديـــر : الحـرب يمكـن أن تنتـهـى غـدا . مـن الواجـب عليك أن تنقـذ روحك . إن وطننا العزيز سيكون فى حـاجـة إلى شبان مثلك ، غدا أيضا .

أولـــيـــس : غدا ، هذا بعيد جدا .

المـــديـــر : سـتكون جنديـا كـالآخـرين ، فى حـين أننى أرى أنـك موهـوب ومـؤهل لكى تصبح فخراً للفكر المعاصر .

أولـــيـــس : سيدى المدير ، لا تقدم لى اختياراً غير محدود لمصائر كبرى .

المـــديـــر : من السهل أن نسخر من شيخ طاعن فى السن .

أولـــيـــس : بالضبط . غـدا حينما أصبح شـيخا عجوزا ، ويسألنى أبنائى عن الحرب ، أجيبهم قائلا : " أنا لم أسمع شيئا . فقد كنت أقرأ أشعار فيرجيل . " ؟ كلا !

المـــديـــر : أتمنـى لك أن تنجـو مـن الحـرب ومـن حـمـاسـتك . أى بُنىَّ ، إن الأشـخـاص الذين فى مـثل سنى يعـيـشـون شيخوخة صعبة . أنا أقوم بتربية تلاميذى وأكن لبعضهم معزَّة خاصـة ، ثم يُنتزعون منى جميعا .إننى بثقافتى الإغريقيـة واللاتينية أحدثهم وهم ينصـتـون لى وغدا تسـمع آذانهم أصـوات المدافع . إن أنت يومـا تذكـرت مديرك العجوز الذى يحبك فلربما استطعت أن تفهم .

أولـــيـــس : سـوف أتذكـرك يا سـيدى المديـر ، مـادمـت تعـدنى بـأن أكـون فـخـر العلوم والفنون والسـعـادة فى الخـامـسـة والثلاثين .

المـــديـــر : **(ضيقا ساخطا)** - يجب أن أنصرف . عطلة سعيدة يا بنى .

أولـــيــــس : لا توجد عطلات فى زمن الحرب . أنت نسيت أنه منذ ثلاث سنوات ، أننى استبدلت بلعبة القزم الأصفر لعبة أعلام صغيرة من بحر الشمال حتى البحر الميت ، كما استبدلت بتلاوة الصلاة اليومية ، قراءة بلاغ يوقظنى كل صباح بضجيجه ، ضجيج المعركة .

المـــديـــر : حاليا ، نحن الذين نكسبها .

أولـــيــــس : إذن ، هم الذين يخسرونها . أنا أود أن يكون مصير الحرب بالنسبة لى سواء ، حتى أشعر أكثر بفظاعتها وهولها .

المـــديـــر : وتريد أن تتطوع ؟

أولـــيــــس : كمتفقِّه فى اللغة اللاتينية لا يشق له غبار ! لكى أواجه الخطر مع زمنى وعصرى . ولأننى أريد أن أحيا ، بلا تحفظ ، حياة بطولية .

المـــديـــر : أدَّخر قواك يا بنى . ستحتاج إلى طاقة عظيمة لتدعم حماساتك .

(المدير يختفى بعدِ ذلك)

نيـــقـــولا : سنرى إلى أين سيقودنا حب المغامرة هذا

أولـــيــــس : ما قيمة الحياة إن لم نولد لكى نصبح أبطالا ؟

نيـــقـــولا : هل تحب أن أحضر الميداليات التى حصلت عليها فى حياتك والإشارات باسمك فى الجيش وحتى فى البلاغ .

(موسيقى ، أجراس ، فرقعات ، صراخ – ثم يدخل جنديان)

الأول : انتهت الحرب !

الثاني : انظروا ! اسمعوا الأغانى !

أوليس : (**بمرارة**) – إنهم يسكرون !

الأول : هل تريد دموعًا لتروى بها الهدنة ؟

أوليس : ما أعظم فرحة الشعوب يوم يبدءون الحرب ويوم ينهونها . ما أحوجهم إلى الرزانة و الوقار .

الأب : (**للجد**) واستولى علينا الخوف شهورًا عديدة ، لأننا كنا نفكر فيك وفى الكارثة التى وقعت لك فى جرافيلوت .

الجد : نعم ، كارثة .

الأب : أما هو ، فحينما كان يأتينا بإذن كان يقول : " أنا أخوض الحرب لكى أُقتل "

أوليس : (**عنيفا ، يقبل على الأب والجد**) – لعلك كنت تريدنى أن أخوضها لكى أضحك وألهو ؟

الأب : هو يرى أن الحرب مبعث عار .

الجد : أنا أيضا .

الأب : هو يخوض الحرب مثل المتمردين الذين يشعلون النار فى المنزل .

أوليس : كنت مثل عصرى ، عنيفا وسافلا .

نيقولا : لماذا تتحدث على هذا النحو أيها العقيد ؟

الأب : (**للجد**) – كانت تلك وصفته خلال الحرب .

الجـــــــد : وما معنى " طيار " .

الأب : لا شيء . سأشرح لك .

نيـــقـــولا : (**للآخرين**) – كان بطلا ، وقد قيل .

أولـــيـــس : كنت أجيد التصويب . هذا كل ما في الأمر . ولكن هل أدركتم الخوف الرهيب الذي كان يعتصر بطني ؟ لا أدري لماذا كنت أخاف مع أنني لم أكن أهتم بشيء أو أحرص على شيء . كنت أشعر بالخوف مثل الأشخاص الذين لا يحبون أن يتناولوا الطعام ومع ذلك فهم يشعرون بالجوع . وكنت أفكر فيك يا جدي مع أني لم أعرفك ، ومع أنك مت في "جرافيلوت " والدم على سروالك الأحمر وأنت في العشرين من عمرك .

الجـــــــد : كنت أصرخ من الألم واليأس طول الليل .

الأب : (**لأبيه**) – كنت بطلا .

أولـــيـــس : لا ! الحرب حل في غاية السهولة . في حين أنهم وعدوني بحياة مجيدة ، فإن الحرب لأغراض بطولية ، لم تكن سوى مصنع لإنتاج الملابس الجاهزة . لماذا تتطلعون إليَّ هكذا ، أنتم الثلاثة ؟

الجـــــــد : يا بني ، أنا لا أفهم شيئا مما تقول .

أولـــيـــس : أنت لا تفهم يا جدي ؟

الجـــــــد : لا !

الأب : أرأيت !

أولـــيـــس : ولكن أنت الذي مت في مقتبل العمر ...

الجـــــــد : أنا لم أفعل ذلك متعمداً .

أولـــيـــس : هل ندمت على حياتك ؟

الجـــــــد : وما زلت أندم عليها .

الأب : أسمعت ؟

الجـــــــد : ولو أمكنني أن أحيا ، لحييت .

أولـــيـــس : وماذا تعرف عن الحياة ، أنت الذى لم تعشها ؟

الجـــــــد : ولكننى ظللت أصرخ طول الليل ، وبطنى يتمزق . كنت أصرخ . كنت لا أريد . آه ، يا أبنائى ، قلبى على أولئك الذين يموتون فى سن العشرين فى ساحة القتال .

أولـــيـــس : أنت لا تعرف الحياة يا جدى .

الجـــــــد : للأسف .

الأب : (**بلهجة من يتحدث بين أفراد أسرته**)- أن يموت المرء فى مقتبل العمر وهو زوج وأب لطفل لم يولد بعد .

أولـــيـــس : نعم . والطفل جاء إلى الدنيا . ونبتت لحيته وقد فارق الحياة

الأب : ما أشد عناد هذا الطفل !

أولـــيـــس : لا أعرف كيف أعبر عن وجهة نظرى ، ولكننى لا أفهم سببا لندمكم لأنكم لم تعرفوا طفولة هذا الرجل الذى لم يعد حتى شيخا عجوزا على قيد الحياة. إن عقم الحياة ، حتى ولو كانت سعيدة ، لم يبدُ لى بمثل هذا الوضوح والبداهة .

الجــــــد : لكنه ختم حياته هو ، فى حين أننى باق بغير نهاية فى مستقبل غير مؤكد، مع حنين لمستقبلى . كيف تسنى لك يا بنى العزيز أن تقتل نفسك بنفسك ؟

أولــــيـــس : لأنك لم تعرف هلاك الحياة ودمارها .

الأب : فى سن الخامسة والثلاثين .

أولــــيـــس : العار الذى تشعر به لأنك لست أكثر من إنسان .

الجــــــد : ماذا تريد أن تكون أكثر من ذلك ؟

أولــــيـــس : آه ! أريد أن تفهمنى . ألا يكفيك أن ترانا هنا نحن الثلاثة بمصائرنا الشخصية فى هذا اللقاء غير العادى ، لكى تقتنع ؟

الجــــــد : أقتنع بماذا ؟

أولــــيـــس : كيف أشرح لك ؟ أنا مشرف على الموت ، وجسدى أنتن وروحى تنشر رائحة ألعن .

الجــــــد : اهدأ واشرح لى ما تقول .

أولــــيـــس : (**لنيقولا**) - دع ذكرياتى تدخل .

(نسمع أغنية يولاند)

أولــــيـــس : نيقولا . لا . لن أستطيع . اعرض عليهم أنت حياتى يوما بعد يوم ودعنى أرحل .

نيـــقـــولا : يجب أن تبقى يا سيدى .

الجــــــد : ماذا هناك ؟

أولــــيـــس : ليس لدى الشجاعة لكى أبدأ من جديد .

الجــــــد : وهل واتتك الشجاعة لكى تقتل نفسك ؟

نيـــقـــولا : بالضبط .
الجـــــــد : أنت تتعذب كثيرا يا بنى .
أولـــيـــس : حينما ترى هذه السيدة .
الجـــــــد : أية سيدة ؟
الأب : لقد انتحر من أجلها .
الجـــــــد : ولم تستطع نسيانها ؟
أولـــيـــس : نسيانها ؟ لم يكن فى حياتى سواها . إنها كالشمس فى الصحراء .

(تدخل يولاند)

يـــولانـــد : هل تنادينى ، يا أوليس ؟
الجـــــــد : ما أجملها !
أولـــيـــس : لو كنت تعلم يا جدى !
الجـــــــد : ولكن على أية حال ، لا شيء يستحق أن نقتل أنفسنا من أجله .
أولـــيـــس : ربما أكون شخصا يبعث على السخرية ، ولكن لعل السخرية أصبحت شكلا جديدا أو عصريا للعظمة ، عظمة مائلة بعض الشيء ، تتردد بين السماء والأرض .
نيـــقـــولا : مثل برج بيزا ، الذى ينتظرك هنا أيضا ، مع ذكرياتك .
أولـــيـــس : جدى . أريد أن تفهم . بعد قليل سنلتقى فى رهان رهيب . بعد قليل ، ستتناولنى أنت المسدس الذى سيحررنى . لا أريد أن أرحل قبل أن تعطينى أنت هذه القبلة التى طالما انتظرتها . قبلة الكرب والأسى التى

يمكن للرجل فقط أن يعطيها للرجل حينما يدرك كل منهما أنهما ضائعان .

الجـــــد : أنت تشعر بمدى حبى لك .

أوليـــس : ولأنك فى العشرين من عمرك ، فستفهمنى الآن حالا .
يا نيقولا ، أعط الكلمة لجميع هذه الأشباح ، جميع هؤلاء الفارين من ذاكرتى . دعهم يتكلمون ...

يـــولانـــد : **(بحنان بالغ)** أوليس !

أوليـــس : أريد أن تفهمنى يا جدى ، من أجلك ، سأراها ، للأسف وأموت مرتين .

الجـــــد : لسنا بصدد أن تموت ، وإنما أن تحيا .

أوليـــس : انتظر يا جدى ، - انتظر .

ســـتار

الفصل الثانى

(الديكور نفسه)

الأم فينو تتكلم أمام يولاند وماكسيم (**فى سن السابعة والثلاثين**)

الأم فينو : لقد عثرت على صغيرى أوليس .

يولاند : ولكن أنا أيضا كنت طفلة ، أناس أيضا كنت فى الثالثة والرابعة والخامسة .

وكان لى شعر معقوص وابتسامة مازالت أمى تتحدث عنها ...

ليست كابتسامة أوليس ! كان طفلا ذكيا وكان يحبنى

الأم فينو : ويقول لى : " غنى يا أمى فينو " وكنت أغنى .

على جسر نانت
حفل راقص ...

(تتوقف وتنصت)

لا يفكر فى الغد أيامه لا تتصارع فيما بينها . طفل صغير سيد نفسه ، سيد العالم .

ثم يهبط الليل ...

في المرة الثانية
عثرت قدمه

... ستبكى ... ما أطيب قلبك يا حبيبى أوليس ، حينما ...
(تغنى)

في المرة الثالثة
انهار الجسر

(تجلس . يسمع فى المساء شدو طيور وصراخ أطفال . ثم صوت طفل : " غنى ثانية يا أمى فينو " (حينئذ ، وبدون تحرك ، تستأنف الأم فينو أغنيتها)

يـــولانـــد : **(تهمس لمكسيم ٣٧)** – هى أجنٌ مما تتصور . إنها تسمٌ أوليس . ألم يحدثك عنها أبدا ؟ تلك العجوز التى كانت جارة لأبويه وماتت وهو فى الرابعة من عمره . لقد نسى ملامح وجهها . لم يبق منها فى ذاكرته سوى ثوب أسود وشعر أشيب قذر . كانت تظهر له فى بعض الصور الثابتة فى طفولته . كيف ؟ أنت صديق عمره ، ألم يرو لك أبدا قصة الأم فينو ، تلك التى قالت ذات يوم لبعض جاراتها : " أوليس ، ذكى جدا ، فى الثالثة والثلاثين من عمره سيصبح رئيسا للجمهورية ؟

ماكسيم ٣٧ : **(ينفجر ضاحكا)** رئيسا للجمهورية ؟

الأم فـــينو : **(وهى تفيق من نومها)** تضحكان ، أنتما الاثنان ؟ بئس الصحبة ! لا تقترب يا بنى . هذه المرة لن تأخذوه منى ! أنا قادمة إليك ...

(تخرج)

ماكسيم ٣٧ : وفى سن الثالثة والثلاثين ، رئيسا للجمهورية ؟

(تسمع أغنية " جسر نانت ")

يـــولانـــد : نعـم . والأسرة أيضـا كـانت تـضـحك . لكن الطفـل أوليس كان يبدو رزينا أمام هذا الكلام الذى كان لا يدرك معناه ، والذى لن يلبث أن ينساه لكى يذكر فقط أن امرأة عجوزًا تنبأت له بغزو العالم . ثم ، وفى سن العاشرة ، بدأت هذه التفاهات الشائهة تتخذ طريق الأسطورة التى ستوحى لـه بحنين غامض لمصير عظيم . للأسف ، نحن لا نستطيع دائمـا أن نلزم الصمت أمام الأطفـال ، ولكن فـالكلام الذى ينبغى أن نقـوله حتى لا نصـبح مسئولين فيما بعد ، عن بؤسهم ؟

ماكسيم ٣٧ : هل هذه هى القصة البارعة التى تتعشمين أن تهدئى بها أوليس حينما يأتى بعد قليل ليسألك الحساب عن بؤسه وشقائه ؟

يـــولانـــد : مازلت لا تفكر إلا فى نفسك .

ماكسيم ٣٧ : أنا أفكر فيك أيضا - وفيه .

يـــولانـــد : الوقت تأخر الآن قليلا .

ماكسيم ٣٧ : يولاند ، هل تشعرين بوخز الضمير ؟

يـــولانـــد : وأنت ؟

ماكسيم ٣٧ : نحن أمام موقف جديد ...

يـــولانـــد : أهكذا تسمى انتحار أوليس ؟

ماكسيم ٣٧ : ... جديد ومفاجئ .

يـــولانــــد : لا . ليس مـفـاجـئـا . يبـدو لى الآن أننى كنت أعـرف أوليس بما فيه الكفاية لكى أتنبأ بقراره . أنا لا عذر لى . لا أستحق الصفح .

ماكسيم ٣٧ : لا .

يـــولانــــد : ... وأثير السخرية .

ماكسيم ٣٧ : السخرية ؟

يـــولانــــد : حينما أتصور أننى كتبت إليك أنت رسالة أقـول لك فيـها " حبيبى " !

ماكسيم ٣٧ : ألم تكونى تحبيننى ؟

يـــولانــــد : ما أعمى النساء حينما يردن بأى ثمن أن يتخذن عاشقا .

ماكسيم ٣٧ : لكنك أحـبـبـتنى ، يا يولاند . أمس فـقـط كنت عـارية بين ذراعى ...

يـــولانــــد : أوه ! لو كنت تـدرى كيف أن مـصـيـبـة يمكـن أن تغـيـر عواطفنا على حين فجأة .

ماكسيم ٣٧ : هـنـاك كلمـات نلفـظـهـا فى لحظات مـعـيـنـة وحـركـات صادقة تعتبر أدلة على الحب ، ولا تستطيعين إنكارها .

يـــولانــــد : أنا أنظر إليك جيدا وأكتشف أنك دميم وغبى - ولم أعد أفهم نفسى .

ماكسيم ٣٧ : لن أسمح لك أن تقولى ...

يـــولـــنـــد : ونفـسك وضـيـعـة ، مـادمت خنت مـعى أخلص وأعـز أصدقائك .

ماكسيم ٣٧ : أأنت التى تلومينني على خيانة أوليس ؟ لست أنت التى تتحدثين الآن ؛ يا يولاند . كلا . أنت الآن لست إلا مجرد ذكرى بين ذكريات أوليس . وأوليس هو الذى يوحى إليك بهذا الذى تقولينه .

يـــولانـــد : ليس صحيحا . إنه يعرف أننى أفكر فيما أقول فعلا .

ماكسيم ٣٧ : دعك من هذا . إن أوليس يمكن أن يتنازل عن نصيبه فى الجنة لكى يسمع الكلمات الصريحة التى ستقولينها لى حينما نلتقى حقا .

يـــولانـــد : ولكننى لم أعد أريد أن أراك ثانية . لن نلتقى ما حييت . وأرجو ألا تحضر جنازة زوجى .

ماكسيم ٣٧ : هـذا فعـلا ما يسائل به أوليس نفسه . لكننى ، حفظا للأعراف ولسمعتى وسمعتك ، سأكون مضطرا للمشاركة فى الجنازة ، ثم ، أنا كنت فعلا أحب أوليس . وأخيرا فأنت نفسك ستشاركين فيها !

يـــولانـــد : لا ! أنا ، بعد كل هذه الانفعالات ، سأكون مريضة .

ماكسيم ٣٧ : يا يولاند ، منذ تزوجت أوليس قبل أربع سنوات ، كانت لدى الفرصة لكى أدرسك جيدا . وهذه الأسابيع الأخيرة التى أحببنا فيها بعضنا ، قد ختمت هذه الدراسة وأكملتها .

يـــولانـــد : وأسلوبك أسلوب بيروقراطى ! آه ! لو أن كلمة " أحبك " هذه ، ليست كلمة جاهزة ، ويضطر الرجال فى كل مرة أن يبتكروا كلمات الحب الذى يشعرون به ، لكان فى ذلك منجاة للكثير من النساء !

ماكسيم ٣٧ : أنت الآن فى حالة يأس وخيبة أمل . ولست أنا السبب فى ذلك .

يــــولانــــد : من إذن ؟

ماكسيم ٣٧ : أوليس ! أوليس الذى انتحر من أجلك ، والذى يقضى آخر ثانية فى حياتـه بين ذكرياته الغريبة عنك .

يــــولانــــد : هـو مضطر لاستعراض مرحلة شبابه . ولكنه فى النهاية سيعود إلىَّ لكى يموت ، للأسف ، فماذا أقول له ؟

ماكسيم ٣٧ : لو كنت أفهمك جيدا ، فإن يقينك من أن أوليس سينتحر هـو الذى يمنعك أن تصبحى عشيقتى ؟

يــــولانــــد : نعم .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فأنت لم تكونى تحبيننى حقا .

يــــولانــــد : ليس إلى هذه الدرجة .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فقـد انتحـر أوليـس بـلا طـائل حقا . ولكننى لا أصدق ما تقولين . أنت أحببتنى . ومازلت تحبيننى حـتى هذه اللحظة ، وفى جـسـدك الحـقـيـقى ، وأنت تصرخين من الرعب بجوار أوليس الذى يموت .

يــــولانــــد : لا ، لا ، لا .

ماكسيم ٣٧ : غدا ستقولين لى كلاما آخر لن يسمعه ، ولن يستطيع أن يسمعه أبدا . وهو، إن كان قد أحبك حقا ، لما أطلق الرصاصة التى تصل إلى مخه فى هذه اللحظة .

يــــولانــــد : إن أوليس أيضا هو الذى يوحى إليك بالكلام الذى تقوله .

ماكسيم ٣٧ : هو يعرف أننى أفكر فعلا فيما أقول .

يـــولانـــد : وزوجتك ؟
ماكسيم ٣٧ : ماذا عن زوجتى ؟
يـــولانـــد : وأبناؤك ؟
ماكسيم ٣٧ : ألم تكونى على علم بأن لى زوجة وأولاداً حينما أصبحت عاشقة لى ؟
يـــولانـــد : كنت أعتقد أن ضعفى سيظل سرا . وهاهو كل شىء يتحول إلى حدث تاريخى . لابد من تبرير . والآخرون ، وحتى اليوم الذى سيجدون فيه أنفسهم فى وضع مماثل ، سيصرون على ألا يفهموا وسيلقوننا بالحجارة كأنهم ذاهبون فى رحلة صيد بريّة .
ماكسيم ٣٧ : أنا سأدافع عنك .
يـــولانـــد : أنت مع ذلك كنت ستطاردنى - لأنك فعلا طاردتنى - لو كنت توقعت حدوث المأساة .
ماكسيم ٣٧ : هل تشكين فى ذلك يا حبيبتى ؟
(يصل ماكسيم فى سن العشرين)
ماكسيم ٢٠ : كذاب !
ماكسيم ٣٧ : **(وقد شعر بالإهانة فى البداية)** كذاب ؟ **(ثم ، ملتفتا)** أوه ، هو مرة أخرى !
يـــولانـــد : من هذا ؟
ماكسيم ٢٠ : أنا هو للأسف .
يـــولانـــد : كيف أنت هو ؟
ماكسيم ٢٠ : أنا هو حينما كان فى العشرين من عمره .

ماكسيم ٣٧ : نعم ، حينما كنت فى العشرين ، كنت أشبه هذا المجنون .

يـــولانـــد : أوه ! لقـــد عـرفـتـك ! (**إلى مــاكـســيـم ٢٠**) لقــد أرانـــى أوليس صــورة فوتوغرافية لك فى سن العشرين . لم أكن أعـتـقـد أننى فى يوم من الأيام سـأسـمـعك تتكلم بصوت شبابك .

ماكسيم ٢٠ : أوليس يخلط بينى وبينه فى ذاكرته . فبالنسبة له ، نحن الاثنان " صديقه "، صديقه ماكسيم . أنا ماكسيم ، وهو ماكسيم . نحن شخص واحد : انظرى ماذا صنع بى ، بعد سبعة عشر عاما .

ماكسيم ٣٧ : أصبح لى كرش صغير ، طبعا ...

ماكسيم ٢٠ : الكرش فقط ؟

ماكسيم ٣٧ : وبعض التجاعيد ؛ ووسام جوقة الشرف .

ماكسيم ٢٠ : أيها الخائن . تخون مرتين . تخون صديقك ، وتخوننى أنا . تستغل ما كنت عليه يوما ما – ما أنا عليه الآن – لكى ترقى إلى مؤثر ومحرك لم تعد تستحقه . لو كنت تنبأت بالمأساة لأخلدت إلى الهدوء يا زير النساء ! أنت تريد أن تعتذر عن خيانتك بحب قاهر بحيث يقاوم ويتغلب على فكرة موت صديقك . لكن الحقيقة أنك ترتعد خوفا لأنهم أخبروك بموت أوليس منذ قليل . ورحت تردد فى ذعـر " يا إلهى ، لو كنت أعلم ! ولكنى أيضا ، ما أغباه ! إن المرء لا ينتحر من أجل امرأة مثلها ! "

يـــولانـــد : (**هائجة**) – ماذا يقول ؟

ماكسيم ٣٧ : لا شيء . اغفرى له شبابه . أنا أعرفه أكثر مما يعرفنى هو .

ماكسيم ٢٠ : ما هذا التهديد ؟ تعال معى إذا كانت لديك الشجاعة . وقل لأوليس إن حبك لزوجته كان من القوة بحيث لم يقاوم فكرة موتك ، بل ولم يقاوم فكرة أن صديقك سيموت بسبب هذا الحب . هيا . تعال واعتذر يا كاشف العورات يا سارق زوجة صديقه لأن ذلك أيسر وأسهل .

ماكسيم ٣٧ : أسهل وأيسر ! أبدا . والدليل : انظر ما نحن فيه من ورطة !

ماكسيم ٢٠ : أنت تذكر أننى و أوليس نشأنا معا وكبرنا معا وأننا كنا نستحم معا فى النهر عريانين ، وأن كلينا يعرف جيدا جسد صاحبه .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : وأنه اعترف لى بأسراره الغرامية الأولى ، وأننا اعترفنا له بأسرارنا الغرامية .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : هل انحدرت نفسك إلى هذه الدرجة بحيث إنك لا تدرك أن هذه المكاشفة تزيد من عذاب أوليس ؟ فهو يعرف جسد وعادات جسد الرجل الذى سلبه زوجته التى يحبها . بل إننى أتساءل ، وأنا أرى جبنك اليوم ، إن لم تكن قد أخذت زوجة صديقك ، لأنه لم يعد يصارحك بهذه الأسرار ، وأنك كنت مازلت تريد أن تعرف ، كما يفعل الآخرون حينما يتنصَّتون على باب حجرته ، أو يتطلعون

من ثقب الباب . (**إلى يولاند**) حينما ضمك بين ذراعيه – وهما ذراعيَّ فيما مضى – ألم يطلب منك الإدلاء بأسرار معينة عن حبك لأوليس ؟ (**يولاند لا تجيب**) أوه ! إننى أشعر بالخجل !

ماكسيم ٣٧ : أنت تشعر بالخجل لأنك عرفتنى جيدا ؟

ماكسيم ٢٠ : لا أفهم ما تلمح إليه .

ماكسيم ٣٧ : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أجهل ما صرت أنت إليه – لكن هل نسيت أنت ما كنت أنا عليه ؟

ماكسيم ٣٧ : لا طبعا .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننى و أوليس كنا نحب بعضنا كما تحب جذور الشجر التربة : كنا نعيش بآمال وطموحات ممتزجة . كان كل منا يحب صاحبه أكثر مما كان نرجس يحب نفسه .

ماكسيم ٣٧ : نعم ... كالحب فى سن الخامسة عشرة . سهل جدا فى مثل هذه السن .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننا أردنا أن نرحل معا حاملين حقائبنا على ظهرينا لنفر من الناس المضطربين فى دوامة الحياة ، سعيدين لأن كلينا كان فخوراً بصاحبه ؟ ... ماذا تعمل فى الحياة ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا مهندس فى الطرق والكبارى .

ماكسيم ٢٠ : أيها البائس الشقى .

ماكسيم ٣٧ : أقوم بإنشاء طرق يحلم أن يرحل خلالها مجانين آخرون مثلنا . ثم أنت كنت تعرف جيدا أنك لن ترحل .

ماكسيم ٢٠ : أنا أمنعك أن تتحدث عني في سن العشرين . أنت لم تعد تدري شيئا عن روحي في مرحلة الشباب . سيدتي ، أنا لا أدري شيئا . لا أعرفك . ولكن حينما يحب المرء أوليس كما أحببته أنا في سن الخامسة عشرة ، لم يكن من حقكما أنتما الاثنان ... لم يكن من حقكما ...

(يبكي)

يـــولانـــد : (**لماكسيم ٢٠**) كان أوليس يقول لي دائما إنك كنت صديقًا لا مثيل له.

ماكسيم ٢٠ : وربما ، بسببي أنا ، أحببت أنت نفايتي هذه (**يشير إلى ماكسيم ٣٧**)

يـــولانـــد : من يدري ؟

ماكسيم ٢٠ : كنتما تتحدثان عني ؟

يـــولانـــد : نعم ، هو يذكر شبابه بكل خير .

ماكسيم ٢٠ : لم أكن أستحق أن أجد نفسي يوما في هذا الهجران - ماذا صنعت بمستقبلي ؟ ماذا فعلت بشبابي ؟

ماكسيم ٣٧ : شبابك لم يكن بهذه الدرجة من الطهارة .

ماكسيم ٢٠ : ماذا صنعت بصديقي ؟ أنت لم تكوني موجودة بعد يا سيدتي ، ولكن ...

ماكسيم ٣٧ : ومع ذلك فأنت كنت تشعر بالغيرة منه فى بعض الأحيان . ألا تذكر ذلك الحلم الذى ما نسيته أنا حتى الآن والذى رحت أنت فيه تسلب جميع باقات الورد التى كانت تبيعها بائعة الزهور التى كان يحبها أوليس ؟ وذلك اليوم الذى سرقت منه موضوع التعبير الفرنسى لكى يعاقبه المدرس وتكون أنت الأول ؟

ماكسيم ٢٠ : ألا تشعر بالخجل وأنت تحاول اليوم أن تعتذر عن جريمة بالتنقيب فى أشياء تافهة فى شبابى ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا أضع الأشياء فى نصابها .

ماكسيم ٢٠ : ولكن ماذا صنعت أنت بطموحاتى التى كنت أحلم بها ؟ طيور حياتى كلها أخرست ولم أعد أسمع سوى صراخ حيوانات عجماء على الطرق التى تشيِّدها من أجل شيخوخة الناس . عد إلى ورشتك ، يا أيها الأمل المحطم ! إن شبابى بأسره يحتقرك ويطردك . اذهب ! اغرب عن وجهى ، أيها الشقى ! (**ماكسيم ٣٧ يخرج**)

وأنت يا سيدتى تخونين أوليس من أجل حقير كهذا ؟

يـــولانـــد : أمامك ، وبالمقارنة بك ، يبدو إنسانا خاملا ، ولكن حينما لم تكن أنت هنا ، كان يشبهك كثيرا . ولقد أدركت الآن سر جاذبيته .

ماكسيم ٢٠ : هو متزوج على ما يبدو ؟

يـــولانـــد : نعم .

ماكسيم ٢٠ : ومن تكون تلك المرأة التى زوجنى منها ؟

يــــولانــــد : أوه ! امرأة عادية ، عادية جدا . لا تستحقه ، أقصد لا تستحقك .

ماكسيم ٢٠ : ولدينا أطفال ، كما يقولون ؟

يــــولانــــد : نعم . ثلاثة أطفال ظرفاء . الأخير الذى فى السابعة من عمره يشبهك كثيرا .

ماكسيم ٢٠ : حينما أتصور أن أبنائى لن يعرفونى أبدا .

يــــولانــــد : أوه ! حقا ، أنت خير منه .

ماكسيم ٢٠ : وذلك الشارب المزرى الذى ألصقه بوجهى ...

يــــولانــــد : أرأيت ، أنا أيضا كنت أريد أن يحلق شاربه ...

(فى ضوضاء شديدة ، تدخل كل من مادلين وييت والأم فينو والجد)

مــــــادلـين : **(مهددة ، مشيرة إلى يولاند)** هاهى ذى ! هاهى ذى !

الجـــــــــد : اسكتن جميعا ! آسف لأننى أحدثكن بهذه الطريقة الفظة مع أنى سعيد جدا بصحبتكن ، كانت معرفتى بالنساء قليلة خلال حياتى القصيرة ولم أكن أعرف أن النساء على هذه الدرجة من السحر والجاذبية .

مــــــادلـين : **(مشيرة إلى يولاند)** حتى هذه ؟

الجـــــــــد : إذا كنا سنعقِّد ذكريات أوليس بمشاكلنا الشخصية وصراعاتنا ، فلن نصل إلى شىء . صدقونى : هو الآن غائب ، علينا أن ننتهز فرصة غيابه هذه لكى نضع شيئا من النظام فى هذه المغامرة . أريد أن أجد لى مكانا فيها . أريد أن أفهم ما يدور .

يـــيــــت : وما فائدة ذلك ؟

مـــــادلين : ألن تعودى إلى بكائك ؟

يـــيــــت : ألـم تروا أوليـس حـينـمـا مـرَّ أمـامـى ولـم ينـظر إلىَّ ولم يعرفنى ؟

(يولاند تنطلق فى ضحكة رضا وغبطة)

الجـــــد : كنت أول من تساءل إذا كان حفيدى له قلب أم لا .

يـــيــــت : أوليس له قلب ، أعرف ذلك ، ولكننى لا أعرف أن له ذاكرة .

مـــــادلين : لديه ذلك ، مادمنا هنا . لكن ذاكرته خائنة .

يـــيــــت : وهـذا أسـوأ نـوع مـن الخـيانة . الوحـيدة ، الحقـيقـية . لقـد أحـبنى ، وكل مـا أرجـوه منه أن يذكـرنـى . لم يعـد يحـبنى ، ولكن هل من حـقه أن ينسى أنه أحبنى فى يوم من الأيام ؟

يـــولانـــد : **(فى تعـال وتكبـر)** - أوليـس اعـتـقـد أنـه يحـبـك . معـذرة يا سيداتى فقـد أغيظكن بكلامى ، ولكن الأحداث تقـول ذلك . أوليس انـتحـر من أجلى . ولكى يطلق عيـارا ناريا على نفسه ، لا تعرفن ...

يـــيــــت : **(مقاطعة)** - أنا أعرف .

يـــولانـــد : **(فى قلق)** - هـل حدث مـن أوليس ، قبل أن ينتحر من أجلى ، أن حاول الانتحار من أجلك ؟

مـــــادلين : لا . بل هى التى حاولت الانتحار من أجله .

الجـــــد : أوليس الذى طالما شكى من الآخرين ، مذنب .

مـــــادلـين : هو رجل ، هذا كل ما فى الأمر . لقد نسيها . وأنت (**إلى بيت**) بعد فشلك فى الانتحار ، ألم تتزوجى من تاجر فى الريف ؟

يـــيـــت : بلى ، تزوجت .

مـــــادلـين : أنجبت منه البنين والبنات . وحاليا ، وفى الوقت الذى يمر فيه أوليس ، ألا تعيشن حياة هادئة ، ربة أسرة فى إحدى المدن الصغيرة ؟

يـــيـــت : هادئة ؟ تقولين هادئة ؟

الجـــــد : ألا تحبين زوجك ؟

يـــيـــت : نعم لا أحبه .

الجـــــد : لماذا إذن تزوجت منه ؟

يـــيـــت : كان لابد أن أواصل الحياة .

مـــــادلـين : ليكن – ولكن بقى معك الأولاد .

يـــيـــت : أولادى غرباء عنى . مادام أوليس لن يعرفهم أبدا . ماداموا لن يعرفوا الرجل الذى أحببته . إن حياء الأمهات يشوهن .

مـــــادلـين : حال يرثى لها .

يـــيـــت : فما بالكم إذا تضاعف خجلى . هل أستطيع أن أمحو ما حدث ؟ إذن أزيلوا هذه الندبة إن كنتم تستطيعون .

مـــــادلـين : أصبت نفسك فى هذا المكان ؟ شىء مؤسف .

يـــيـــت : ثم كان أن وضع ولداى ، كل فى دوره ؛ رأساهما فوق هذا الجرح – لأننى مع ذلك أردت أن أرضعهما . أردت

أن أحبهما ... ذات صباح ، ابنى الصغير بولس قفز فوق فراشى وهو يلعب فدس إصبعه فى هذه الندبة ... هنا ... وقال لى : " أوه ، ماما ... واوه ؟ هل تؤلمك ؟ " ولم أعرف كيف أردُّ على سؤاله . لم أجد سوى هذه الإجابة ! نعم ، كثيرا يا بنى " لم أكن قد عرفت أن أوليس قد نسى حتى ذكرى حبنا " .

(يظهر أوليس أعلى ، يتبعه نيقولا . الذكريات تحت ، تنفض)

أوليـــس : نيقولا !

نيـــقـــولا : سيدى ؟

أوليـــس : قل لى ، حينما يموت المرء ميتة عادية كما يموت الناس جميعا ، هل يضطر أيضا لاستعراض حياته ؟

نيـــقـــولا : لماذا هذا السؤال ؟

أوليـــس : لأننى لو كنت توقعت هذا العذاب لكنت لقَّحت نفسى بحمى التيفود .

نيـــقـــولا : حتى النهاية ، ستحتفظ يا سيدى بطبعك العسير .

أوليـــس : عسير ؟ ولكن هل وجد على هذه الأرض إنسان أكثر منى رقة وحنانا ؟

لقد رأيت بنفسك كم كنت طفلا محبوباً . كم ستصبح حياة الناس أفضل إذا استطاعوا أن يحتفظوا بذكريات طفولتهم بشكل دقيق . لماذا ذكريات طفولتى على هذه الدرجة من السحر والجاذبية ؟

نيـــقــولا : ألم تكن طفولتك كذلك ؟

أولـــيـــس : كانت ، على ما يبدو لى ، تتسم بالتردد والتنوع .

نيـــقــولا : كل شىء يتغير يا سيدى ، حينما يتجمد كل شىء ويتوقف . الاحتمالات والتوقعات تثبت . فى الماضى ، كنت لا تعرف . يوما بيوم ، أين يمكن أن تحط قمم سعادتك وهوّاتها . والآن تستطيع أن تزور ماضيك بكل الثقة والتمكن الذى يتوافر لعالم جغرافى عليم .

أولـــيـــس : وما جدوى ذلك ؟ إحدى العبارات النادرة التى كنت أسمعها منك فيما مضى ، تقول : " ما حدث لا يمكن أن يحدث مرة أخرى " وكنت أعزِّى نفسى أحيانا فى شقائى بهذه العبارة العميقة : ولكن هانحن نجد أن " ما حدث يحدث مرة أخرى " .

نيـــقــولا : ألا توجد فى ماضيك ذكريات جميلة تحب أن تراها مرة أخرى ؟

أولـــيـــس : ما جدوى ذلك مادامت قد مضت وانقضت. لا سعادة إلا السعادة الخالدة .

نيـــقــولا : ولكنك يا سيدى لست سوى إنسان .

أولـــيـــس : وهذا هو السبب الذى يجعل هذه المغامرة بلا طعم ولا رائحة بالنسبة لى.

نيـــقــولا : ابحث جيدا . ألا يوجد شىء ، امرأة ، أو دقيقة تحب أن تراها مرة أخرى .

أولـــيـــس : لا .

نيــــقــــولا : تعوزك الصراحة .

أولــــيـــــس : أتسمح لنفسك ...

نيــــقــــولا : منظـر طبيعى لمحته ... طعم فاكهـة يومـا مـا ، ثم لم تذقه بعد ذلك أبدا ؟

ولا لقاءات ضـائعة ، لقاءات بلا توابع ؟ المصادفة تضعك أمـام زهرة تمد يدك لكى تقطفــهـا فـإذا بالريح تحـمل الزهرة ولا تنسى لونهـا الفـريد طيلـة حيـاتك . لقـاء فى شـارع ... نظرة ... ونهـاية - لكن الذكرى تظل ملتـصـقـة بندم يعجز عنه التعبير .

أولــــيـــــس : هل أستطيع أن أرى شخصًا لا أعرف حتى اسمه ؟

(أجراس آراس تدق)

نيــــقــــولا : نعم .

أولــــيـــــس : هل تسمع هذه الأجراس ؟

صــــوت المجــهــولة : أوليس !

أولــــيـــــس : وصوتها !

صــــوت المجــهــولة : أوليس !

أولــــيـــــس : أخيرا ، سأعرف من هى ... ولكن فلتدخل ... فلتأت ...

(تدخل المجهولة)

أولــــيـــــس : أخيرا ، ألقاك هنا :

المجــــهـــولة : أوليس !

أولــــيـــــس : أخيرا ، ستشرحين لى كل شىء .

المجــــهـــولة : ماذا تريد أن أشرح لك ؟

أوليس : صحيح . أنت تجهلين ما حدث بعد ذلك .

المجهولة : ماذا حدث يا فارسى الجميل ؟

أوليس : هل تذكرين لقاءنا ؟ كنت غليظا معك . سامحينى .

المجهولة : لم تكن غليظا .

أوليس : أجل ! أجل ! اسمع يا نيقولا . حدث ذلك فى ضواحى أراس . كنت قد نجحت فى إسقاط طائرة للعدو . وكنت أشعر بكرب شديد . هل هذا هو كل المصير الرائع الذى ينتظرنى ؟ كنت خلف رشاشى وأمام هدفى لا أفكر فى شىء . ولكننى ما إن عدت إلى الأرض حتى انتابنى الخوف . كنت أشعر بالبرد . كنت وحدى ضائعا فى يأس غريب . عندئذ قابلتك .

المجهولة : لا ، أنا أغريتك وقمت باصطيادك .

أوليس : أنت أغريتنى وقمت باصطيادى ؟ لا ،لا ، أنا أسف . هذا فعلا ما ظننته فى بادئ الأمر – ثم تبعتك .

المجهولة : كنت ترتعد .

أوليس : وصحبتك إلى أحد المنازل المهجورة . أنت أيضا كنت ترتعدين . فخلعتُ معطفى المبتل وطرحتك فوق الفراش .

المجهولة : فقاومت – فاندهشت أنت وتركتنى .

أوليس : كان الجو باردا والليل مظلما . ومن بعيد كنا نسمع قصف المدافع . وكانت بعض الأنوار تلمع فى السماء وتحط على وجهك – ثم انفجرت فى البكاء .

المجهولة : لا ! لا ! اسكت !

أولـــيـــس : وفى تلك الساعة كان الشفاء وحده يمكن أن يحركنى .

المجـــهـــولة : لماذا لم تضربنى ؟ كان يجب أن تضربنى .

أولـــيـــس : نعم شعرت بالرغبة فى ضربك ، بل وربما فى قتلك .

المجـــهـــولة : **(مرعوبة)** آه !

أولـــيـــس : كنت أستطيع أن أفعل ذلك . كنا وحدنا فى تلك المدينة وسط الحرب . وكان الموت سهلا ميسورا ، انتابتنى رغبة مجنونة فى أن أنتقم من حياتى كجندى ، وذلك بقتل امرأة ، بخنق امرأة تبكى . وسألتك بكل بساطة إذا كنت تحاولين اصطياد الضباط رغبة فى إظهار دموعك لهم وحسب .

المجـــهـــولة : **(كما فعلت فى الماضى)** أنا وصلت هنا ، منذ ثلاثة أيام ، أبحث عن أختى التى كانت تعيش هنا ، وقد تم إخلاء المدينة . وقد ناديتك لأننى كنت أشعر بالجوع والخوف .

أولـــيـــس : يا حبيبتى المسكينة !

المجـــهـــولة : كنت فى غاية الطيبة معى .

أولـــيـــس : لا .

المجـــهـــولة : لقد غطيتنى بمعطفك... ثم أردت أن تنصرف لتبحث عن طعام ، فأردت أن أشكرك فقدمت لك شفتىّ وقبلتنى ، وأنت تميل على الفراش .

أولـــيـــس : وكانت رائحة الخمر تفوح من فمك . كنت مخمورة .

المجـــهـــولة : نعم . فرحت تشمنى وتعنفنى . بل لقد لكمتنى بقبضة يدك .

أوليس : (**وهو يضرب قبضة يده**) أسف . أسف .
المجهولة : ثم رحلت وتركتنى .
أوليس : أتدرين ماذا حدث بعد ذلك ؟
المجهولة : لا .
أوليس : همت على وجهى فى المدينة بحثا عن محل بقالة . واشتريت بعض البسكويت ، والشيكولاته ، ونبيذا ، - ونبيذا ثم عدت إليك ، - عازما على اغتصابك ، لكى أتأكد أنك فتاة بكر ، لكى أتأكد أنك لم تكذبى علىَّ . وعثرت على المنزل ، وكنت أنت ما تزالين هناك ، نائمة كانت الدموع تسيل على خدك . وشعرت أمامك بالهدوء والحنان . وتركت لك الطعام الذى اشتريته والزجاجة . ثم كتبت لك كلمة أرجوك فيها أن تنتظرينى حتى الظهر . وخرجت . وعلمت أن بعض الجنود مرُّوا فى الصباح . ثم قصفت المدينة بالقنابل فى الحادية عشرة . وتمكنت من العودة فى حوالى الواحدة كالمجنون . وكان المنزل الذى كنت تنامين فيه ما يزال قائما . فاطمأن قلبى وصعدت السلم فوجدت الطعام قد اختفى ، وكذلك الكلمة التى كتبتها لك ، وبحثت عنك فى جميع الحجرات فلم أجد أحدا . وانتظرت فى المساء . ولكنك لم تعودى . ثم بحثت عنك ثلاثة أيام فى جميع الشوارع . وبعد شهرين ، عدت إلى المدينة فوجدتها مدمرة تماما . اللهم إلا ثلاثة منازل . وكان منزلنا سليما لم يمس . فصعدت السلم وأنا أرتعد .

وكان الفراش ما يزال فى مكانه والأغطية منكوشة كما تركتها أنت . فانتظرت مرة أخرى كالمجنون ، يومين كاملين ، داخل المنزل . على أمل أن أراكِ تعودين ، على أمل أن تظهرى .

المجهولة : حبيبى !

أوليس : وخضت الحرب لا أفكر إلا فيك . من يدرى لعلى طول حياتى لم أحب سواك ؟

المجهولة : أوليس !

أوليس : أنت يا من كنت أبحث عنك دائما ، وأخيرا ، أعثر عليك ، أيتها المجهولة العزيزة .

(يتعانقان)

أوليس : **(وهو يخلص نفسه بعنف)** آه ! ما تزال رائحة الخمر تفوح منك .

المجهولة : أقسم لك أننى أقول لك الصدق . أنا فتاة عذراء تبحث عن أختها ، ولست كما تعتقد .

أوليس : هذه المرة ، سأتمسك بك ولن أتركك أبدا .

المجهولة : أنا أغريتك ، ولكن لأننى كنت جائعة وخائفة . أرجوك أن تصدقنى .

أوليس : اسكتى ! أولا ، لماذا لم تنتظرينى ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : أين كنتِ حينما كنت أبحث عنك فى كل مكان ؟

المجهولة : لست أدرى .

أولـــيـــس : الجنود الذين مرُّوا فى الصباح هل اعتدوا عليك ؟
المجــهــولة : أى جنود ؟
أولـــيـــس : لا تتغابى . وأجيبينى ؛ لقد نسيت أن أسألك عن اسمك . ما اسمك ؟
المجــهــولة : أنت تعرف جيدا أننا لا نعرفه .
أولـــيـــس : ولكنك أنت تعرفينه .
المجــهــولة : أنا الفتاة المجهولة فى ضواحى آراس .
أولـــيـــس : أنا أريد اسمك .
المجــهــولة : لا أعرف .
أولـــيـــس : نيقولا ! ألست أحلم ؟ هل كلامى يخرج فعلا من فمى كالأشياء الصغيرة؟
نيـــقـــولا : أنا لا أعرف هذه الإنسانه . فقد عملت فى خدمتك ميكانيكيا بعد ذلك بسبعة أشهر .
أولـــيـــس : أجيبينى : هل كنت فتاة أم عاهرة تمثلين علىَّ ؟
المجــهــولة : علمى علمك . أنت تعرف ذلك مثلى .
أولـــيـــس : واليوم ، لماذا تفوح منك رائحة الخمر ؟
المجــهــولة : كيف تريدنى أن أتغير ؟
أولـــيـــس : من كنت ؟ وماذا أصبحت ؟ ومن أين تأتين ؟ وإلى أين تذهبين الآن ؟
المجــهــولة : كل ما أعرفه أننى أقف أمامك .
أولـــيـــس : لقد أحببتك كثيرا فلا تسخرى منى .
المجــهــولة : دعنى !

أولـــيـــس : أجيبى !

المجـــهـــولة : دعنى أنام .

أولـــيـــس : **(يلكمها بقبضة يده)** قذرة !

المجـــهـــولة : آه !

أولـــيـــس : **(مشدوها)** وألكمها بقبضة يدى ! كما حدث فى الماضى ... وهى ترحل .

نيـــقـــولا : نعم . لقد انتهى الأمر بالنسبة لها .

أولـــيـــس : ولكننى أحلم ...

نيـــقـــولا : كلا . أنت تستعرض حياتك من جديد ، وأنا لا أستطيع أن أقدم لك إلا ما عشته فعلا .

أولـــيـــس : ولا أستطيع حتى أن أناديها ... إذن لن أعرف اسمها ما حييت ؟

نيـــقـــولا : لم تعد تشك الآن أنك بين ذكرياتك ؟

أولـــيـــس : اتركونى وحدى .

المتـــســـول : **(داخلا)** آه ! الوحدة رهيبة أيضا .

أولـــيـــس : من هذا الرجل ؟

المتـــســـول : أنت على حق يا سيدى . الحياة صعبة : حسنة من فضلك !

أولـــيـــس : أنا لا أذكره . ماذا يعمل هنا ؟

نيـــقـــولا : أنت كنت تشعر بخوف شديد من أن تصبح فقيرا !

أولـــيـــس : **(فى تشكك)** – أنا !

نيـــقـــولا : كما أن الفقر كان يجتنبك ويستهويك : فى بعض الأحيان كنت تود أن تزهد فى كل شىء . الصحراء ، الدير ،

الطريق ... كل ذلك تتصوره وأنت جالس فوق الكرسى الفوتوى .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : أشياء متناقضة . إن حياتك ، كحياة جميع الأشخاص العاديين ، حافلة بالمتناقضات . تارة نعم ، وتارة لا . آه ! سيدى إننى أرثى لمن سيتولى كتابة تاريخ حياتك . فإذا حاول أن يضع نظاما فى إبداعه فإنه سيبتعد عن الحقيقة . وإذا هو تتبعك خطوة بخطوة ، فى ذكرياتك ، كان التِّيه الذى يضل فيه .

المتسول : حسنة ، من فضلك !

أوليس : (**مغيظا**) لماذا لا تنفك تقول : " حسنة ! ... حسنة ... "

المتسول : لأن هذه هى العادة . نقول " حسنة ! " فاهم ! الحسنة هى نقود ...

أوليس : والنقود ؟

المتسول : نبيذ .

أوليس : والنبيذ ؟

المتسول : سعادة .

أوليس : والسعادة ؟

المتسول : أنت تعرف معنى هذه : المرء يكون سعيدا ، ثم يمضى كل شىء وينقضى!

أوليس : وإذن ؟

المتسول : إذن ، أبدأ من جديد فأقول : " حسنة ، من فضلك ! "

أولـــيـــس : هنا المتسول لا يطاق . قذر ، كريه الرائحة . لا يدرك شيئا مماً أعانى .

المتـســول : لو كنت تشعر بالجوع ... لو كنت تحتاج إلى خبز ...

أولـــيـــس : لا تقترح علىّ هذا الوضع بهذه الحماسة .

المتـســول : عفوا ؟

أولـــيـــس : إن الحاجة إلى الخبز، فى حد ذاته ، هى أيضا وضع الراهب فى الصحراء ، كما أنها وضع العامل العاطل . أنا أريد لمصيرى إرشادات أكثر دقة .

المتـســول : أنا جائع .

أولـــيـــس : أقضى عمرى فى تقديم الخبز للجوعى ؟ ما رأيك فى ذلك ؟

نيــقــولا : لو رحت تتناقش مع الجوعى الذين يفكرون ، فهيئ نفسك لكل أنواع المغامرات .

المتـســول : واللانشون والنبيذ والأحذية ...

أولـــيـــس : أعمال خيرية فى حى للفقراء ؟ أليس كذلك ؟

المتـســول : لو كنت مكانى ...

أولـــيـــس : ولم لا ؟

نيــقــولا : كم من الوقت ؟

أولـــيـــس : الوقت الكافى للانتهاء من الدروس الأخلاقية المرتبطة بهذا الموقف .

نيــقــولا : وبعد ذلك ، هل تسترد نقودك ؟

أولـــيـــس : أنا أكسبها بلا مزاح ولا فخر . لقد هبطت من سماء من نار . آه ! لو كنت تدرك حياتى ؛ آخر أسبوع فى

الحرب : كنت ألعب لعبة الاستخفاء مع الموت ، ولا أريد أن أموت . بل كان ذلك لكى أعيش حياة أفضل . أنا لا أفسر ولا أشرح فأنا لست عالما نفسانيا ، أنا أروى فقط . وهذا ما ادخرته لى مدن السلام : زيادة جميع جراجات باريس والضواحى لبيع كربيرتير طراز جديد .

نيـــقـــولا : كنت دائما تطلب من الله تعالى معجزة يومية وشخصية صغيرة .

(**إلى المتسول**) يحتاج إلى عنايات إلهية خاصة .

المتـــســـول : أنا ، جوعان .

أولـــيـــس : هو على حق . الناس مثلنا لا يشعرون بوخز الضمير الكافى حينما يأكلون فى ساعة محددة .

نيـــقـــولا : على أية حال ، هذا اللقاء فى غير محله . أنت تجعله بعد الحرب . لكنه حدث وأنت فى الخامسة عشرة تقريبا .

أولـــيـــس : كلا ! إنه لقاء يقع لى كل يوم فى حياتى .

نيـــقـــولا : إذن ، لماذا لم تكن محسنا ؟

أولـــيـــس : لأننى اتّبعت عرف العصر الذى عشت فيه .

المتـــســـول : سيدى الطيب ...

أولـــيـــس : ومع ذلك فهو لا يهم . ولكن الآخرين ... الذين لا نكتشفهم إلا إذا انتقلنا إليهم ، الذين يعيشون فى بيوت تسقط فيها الأمطار ، فى حجرات فيها دلاء الماء فوق الكراسى والأطفال يفترشون الأرض... خليط من القذارة والبؤس ...

نيـــقـــولا : أنت ذاهب إذن إلى هؤلاء الناس الفقراء ؟

أولـــيـــس : نعم ، ثلاث مرات أو أربع .

نيـــقـــولا : ولماذا ثلاث مرات أو أربع فقط ؟

أولـــيـــس : لأن مستقبلى يدفعنى ويشدنى .

المتـســول : حسنة ، لو تكرمت ...

أولـــيـــس : خذ ، هذه عشرون قرشا . أنت مزعج .

المتـســول : شكرا يا سيدى الكريم .

نيـــقـــولا : سيذهب من فوره إلى الخمارة .

أولـــيـــس : طبعا . بعشرين قرشا لا يستطيع أن يذهب إلى ملهى ليلى .

(الديكور يظلم . الأشخاص يتفرقون فى أماكن مختلفة من المنصة ، على مستويات مختلفة من الارتفاع – عليهم ضوء خفيف)

نيـــقـــولا : سيدى يجهل إلام ستقوده هذه الألفاظ : " ملهى ليلى " ما أغرب ذاكرة الإنسان . إن أكبر الذكريات تدخل دائما من أضيق الأبواب . لقد قلت لك : مادلين تقترب **(ما يزال يتوجه بالحديث للجمهور)** وهى لم تعد مادلين التى عرفتها . أبدا . ستعود الآن وقد تغيرت تاما . ليست كما كانت ، ولا كما أصبحت – ، وإنما كـ ... هس ! هاهى الأزهار قد سبقتها !

مـــادلـين : **(إلى أوليس)** شكرا ، يا حبيبى ، على زهورك الجميلة هذه .

أولـــيـــس : آه ! هاأنت مرة أخرى ! وأنا فى العشرين من عمرى .

مـــــادلـين : وشكرا لأنك تذكرت أنى أحب السوسن الأبيض .

أولـــيـــس : أوه ! لن تستطيعى أن تعرفى إلى أى حد كنت قد نسيت ذلك !

مـــــادلـين : أشك فى ذلك . ولكن أشكرك لأنك تذكرته أول مرة : لقد التقينا فى بار" الكاتب " هل تذكر ؟ وبلا سبب قلت لك ، قلت لك : أنا أحب السوسن الأبيض – وفى اليوم التالى تلقيت منك هذه الباقة الرائعة . حبيبى !

أولـــيـــس : حسنا ! اذهبى ونسقيها فى وعاء زهر فى بيتك، ولنكف عن الكلام عنها .

مـــــادلـين : فى وعاء الزهر اللبنى الذى كنت تحبه كثيرا

أولـــيـــس : تصورى لقد نسيت هذا أيضا . ثم إن هذا كله لم يعد ذا أهمية . ولم يكن له أية أهمية . فقبلى رجال آخرون قدموا لك زهوراً ذبلت فى هذا الوعاء . ثم جاءت زهور غيرها .

مـــــادلـين : ولكنك لست الرجل الوحيد فى الخليقة . يجب أن تعترف بهذا يا عزيزى وتسلم به .

أولـــيـــس : لا تتصورين إلى أى حد أنا مسلِّم بهذا .

مـــــادلـين : أنت مخطئ . فأمام زهور بهذا الجمال ، أشعر بسعادة بالغة .

(تذهب إلى الناحية الأخرى لتنسق الزهور فى وعاء زهر لبنى)

الجـــــد : **(يقترب من أوليس)** هـل أسعدك الحظ وأحبّتك هذه المرأة الجميلة أيضا ؟

أولـــيـــس : **(متشككا)** أحبتنى ؟

الجـــــد : نعم . هل أحببتها أنت ؟

أولـــيـــس : أبدا . **(يتوقف ويسأل نيقولا :)** ما رأيك ، يا نيقولا ؟

(حركة ساخرة من نيقولا . أوليس يستطرد :) شويه ، ربما ، على الماشى.

الجـــــد : ولكن على الماشى هذا دام طويلا ؟

أولـــيـــس : لـم أعـد أدرى ... عـدة شـهـور ... أعـرف أن اسـمـهـا مادلين . اسم ضمن أسماء أخرى فى حياتى .

(مادلين تعود حاملة حقيبة سفر)

أولـــيـــس : ماذا تحملين ؟

مــــادلـين : خطاباتك التى لم أجد فرصة لإعادتها إليك .

أولـــيـــس : **(ساخرا)** – وهل تحتاجين لحملها إلى حقيبة سفر ؟

مــــادلـين : غريبة ! إن فيها أكثر من خمسمائة رسالة .

أولـــيـــس : هل أنت مجنونة ؟

مــــادلـين : انظر. أنت كنت تكتب لى كل يوم تقريبا – وقد دام حبنا أكثر من عامين.

أولـــيـــس : عامين ؟

مــــادلـين : عامين وشهرين .

أولـــيـــس : مستحيل

مــــادلـين : **(بحنان)** ألا تذكر الصيفين اللذين أمضيناهما معا ؟

أوليس : أذكر .

مادلين : والشتاءات الثلاثة فى باريس ؟

أوليس : **(سعيدا بتذكره)** الأول ، نعم ...

مادلين : ثم كان الثانى ، - ثم الأخير الذى انتهى نهاية سيئة ، الثالث .

أوليس : نعم ، أذكر . حيث لم نعد نشعر بالحب .

مادلين : هل أسفت على فقدانى ؟

أوليس : **(لطيفا بقدر الإمكان)** - كلا !

مادلين : أحيانا ، فى المساء ، اسمى لم يكن يخطر ببالك ؟ تتساءل : " ترى ، كيف أصبحت مادلين ؟ "

أوليس : كنت أتصور نهاية مصيرك ، كل شىء صار مبتذلا ، شكلك كان يزداد سوقية ...

مادلين : حسنا . أشكرك .

أوليس : حقا ، ماذا أصبحت ؟

مادلين : كما ترانى ، أمامك ، بهذه الزهور التى هى زهورك ، والثوب الذى كنت تحدثنى عنه دائما فى الماضى . هل تتذكر هذا الثوب ؟

أوليس : نعم. التقينا لأول مرة عند أصدقائك ، يوم أحد ظهراً فى الريف ، والشمس على أشدها ... كنت تشعرين بالحر ، وكانت ذرات من العرق فوق شفتيك ... شفتيك الحمراوين ... كم كنت جميلة ... كنت أقول لنفسى : لن أستطيع ما حييت أن أقول لمادلين إنى أحبك .

مـــــادلـين : كنا قد تعارفنا منذ قليل .

أولـــيــس : وثوبك الذى طالما تمنيت أن أتحسَّسه . دعينى أتحسس هذا الثوب الذى أراه لأول مرة بعد ذلك اليوم الذى أحببتك فيه .

مـــــادلـين : أنت تذكر أن المودة كانت قد تغيرت ، حينما التقينا للمرة الثانية بعد عام .

أولـــيــس : أوه ! فى ذلك المقهى الكئيب كما هى جميع مقاهى باريس بلا شمس .

مـــــادلـين : **(كما فى الماضى)** – " صباح الخير يا سيدى ، ألا تعرفنى ؟ "

أولـــيــس : أوه ! بلى ! أعرفك – كنت قد انتقلت إلى سكن آخر مما جعلك تتكلمين عن الشقة وهكذا عرفت عنوانك . وفى اليوم التالى ، أرسلت إليك أزهار السوسن . هل توجد هنا جميع خطاباتنا .

مـــــادلـين : نعم .

أولـــيــس : هل توجد بينها أول رسالة لك ؟

مـــــادلـين : طبعا .

أولـــيــس : **(يبحث ويقرأ مطلع الرسائل التى تقع فى يده مصادفة)** – " معبودتى الحبيبة ... " كلا ، ليست هذه " صغيرتى مادلين ... " كلا ، ليست هذه أريد رسالتك الأولى ... " هذه الرقة والعذوبة ... " كلا ، رسالتك الأولى **(ثم يقول من الذاكرة مطلع الرسالة :)** سيدى ، أكتب إليك وأزهارك البيضاء بين ذراعى – وأريجها ... "

(مادلين تذهب وتحضر أزهار السوسن - وتمثل أمامه والأزهار بين ذراعيها)

مـــــادلين : هاهى ذى ، مع ثوبى الأول وجميع خطاباتى .

أولـــيـــس : عزيزتى مادلين .

مـــــادلين : وتناولنا العشاء معا فى المساء نفسه . هل تذكر ؟

أولـــيـــس : وصبى المطعم الأبله !

(يدخل صبى المطعم فجأة وهو أحول ويتهته فى الحديث)

الصـــــبى : لا ، لا أريد أن يسخر أحد منِّى .

أولـــيـــس : صبى المقهى العزيز !

الصـــــبى : هل ستبدأ من جديد ؟

مـــــادلين : (**لأوليس**) هل رأيت عينه ؟ ينظر كما يتكلم .

الصـــــبى : هل أنا أعاتبكما لأنكما تتعانقان فى كل مرة أصل فيها بالأطباق ؟

نيـــقـــولا : (**من الباب**) أهـذا هو الذى ستطلقه ؟ لأن هناك أكثر من سبعة آلاف ينتظرون .

الصـــــبى : أعرفهم تمام المعرفة .

نيـــقـــولا : شىء لا يصدَّق ، عدد رهيب ، عدد صبية المقاهى الذين يمكن أن يراهم الإنسان طوال حياته . إنهم موجودون كأنهم أشباح قذرة ، لا ملامح لهم .

أولـــيـــس : (**للصبى**) لا تغضب . اجلس هنا .

الصـــــبى : وأنتما تشكوان لأن الكشك المظ كان من النوع المحفوظ فى المعلبات . كان فى الشتاء ...

أولـــيـــس : أنت جـزء من المشـهـد . وجـهك ، وجـه البـهلوان يرتبط بمغامـرة حب عجيبة (**إلى مادلين**) لأننا سنحب بعضنا ؟

مـــــادلـين : يالك من طفل !

أولـــيـــس : كنت أحـبك منـذ عـام ، لكنني لـم أكن آمل أن أسـتطيع يوما ما أن أصارحك بحبي . ليكن . ليحدث ما يحدث . سـتضـحـكين منـي إذا أردت . كل مـا أرجـوه منـك ألا تغضبي : لا أستطيع أن أقاوم الفرحة التي أشعر بها وأنا أقول لك ، لك أنت : " مادلين ، أنا أحبك "

(يتعانقان)

الصـــــبـى : بمجرد انتهائهما من تناول المشهيات ، لا يتوقفان .

مـــــادلـين : تعال .

أولـــيـــس : (**حائرا**) إلى أين نذهب ؟

مـــــادلـين : ألا تذكـر ؟ لقـد ذهبنا إلى بيـتي لنرى كـم سـتكون أزهـار السـوسن البيضـاء جميلة في وعاء الزهر اللبني .

(أوليس يرى ذكرياته من حوله)

أولـــيـــس : لا تدْخـلـوا هـكـذا بسـرعـة أنتـم الآخــرون . ابـقـي يا مادلين حتى النهاية ، لا تتركيني بعد الآن . أما أنتم ، فانصرفوا . فأنا لا أعرفكم . لا أعرف من تكونون . كل ما أعرفه أنني تعذبت كثيرا حتى الموت ثم عثرت في آخر ساعة على لحظة من الراحة . مادلين ، ينبغي أن أنام نومـا لا أحـد يعـرف أحـلامـه . وحـتى أروح في هذا النعاس ، ابقي بجواري وحدثيني في الحب .

مــــــادلين : كنت رائعا . ظللنا متعانقين طول الليل من غير نوم . ولما بدأت الشمس تشرق ، بدأنا ننام . ثم عندما أفقنا وجدناها فى كبد السماء ، شاحبة صافية ، شمس شتاء جميلة . وكنا نشعر بالجوع .

أولــيــس : ونحن اللذان كنا عشيتها لا نعرف بعضنا جيدا ، رحنا نرتدى ملابسنا ونحن نضحك .

مــــــادلين : سنتان من السعادة .

أولــيــس : كل هذه الفترة ، تعتقد ؟

مــــــادلين : سنتان ، مر الزمن سريعا ، يوما بعد يوم .

أولــيــس : وهذه الأيام ، حينما تتوالى فى الذاكرة ، كم تتقلص وتصغر وتكاد تتكدس داخل أحد الأدراج . وأنت متى تذكرتنى ؟

مــــــادلين : فى إسبانيا ، فى مالاجا ، وفى الفندق ذى الأزهار التى كانت تنزل فى المياه الزرقاء ، والليالى التى كانت تضيؤها النجوم الزاهرة ، وأنت معى تردد على مسامعى : " أحبك يا مادلين ، أحبك . "

أولــيــس : نعم ... ومن حولنا ذلك الطنين من اللغات الأجنبية وصهيل الجياد المجروحة ، والدماء الحمراء ، والرجال الذين يقتلون الحيوانات وهم يرقصون – أو يعرضون أنفسهم للقتل وهم يصيحون قائلين : " برافو ، أيها الثوار . " أحبك يا مادلين ، أشعر أننى ولدت لأكون سعيدا .

الجـــــــد : **(متدخلا)** هـذه التى تـزعم أنهـا امرأة بلا أهمية ؟ اسم ذهب طى النسيان ، خمسمائة رسالة غرامية ! رحلات وقبل تحت النجوم الساطعة - سعادة أنا لم أصادفها فى حياتى .

أولـــيـــس : أنت تباغتنا هكذا كوخز الضمـير ... ولكننى يا جدى لم أكن تعيسا فى جميع ساعات حياتى ودقائقها ، ولم أنتحر سوى مرة واحدة .

الجـــــــد : عظيم . فلنواصل !

أولـــيـــس : لا . لن أواصل . الآن وقد تقدمت فى السن وتعذبت وأعثر على سعادة كنت قد نسيتها ... لقد نسيت ... مادلين أننا كنا سعيدين .

مـــــادلـين : حبيبى أوليس .

أولـــيـــس : ولكن ، من الذى فرَّق بيننا ؟

مـــــادلـين : لست أدرى .

أولـــيـــس : أنت لم تكونى مخلصة فى حبك .

مـــــادلـين : فى البداية ، كنت مخلصة .

أولـــيـــس : فى البداية ؟ وتخرجين دائما وحدك ، الآن ، وتعودين فى قمة السعادة أو فى قمة الحزن ، ودائما متعبة .

مـــــادلـين : وأنت ؟

أولـــيـــس : وأنا أيضا .

مـــــادلـين : ومع ذلك فنحن سعيدان .

أولـــيـــس : هل تعتقدين ذلك ؟

مـــــادلين : نحن صديقان صدوقان .

أولـــيـــس : صدوقان ؟ لا يا مادلين . كل منا يكذب على صاحبه وأنت تكذبين عليَّ .

مـــــادلين : أقسم لك ، يا صديقى ...

أولـــيـــس : أقسمى لى فقط بأن تذهبى لتحضرى حقيبتك التى تركتها فى المدخل ، أن تحضريها لى دون أن تفتحيها وأن تتركينى أفتحها بنفسى .

مـــــادلين : حالا .

(تخرج)

الجـــــــد : ماذا جرى ؟

أولـــيـــس : هذه عاهرة !

الجـــــــد : ماذا ؟

أولـــيـــس : كيف كانوا يطلقون على أمثالها فى الماضى ؟ قطّاعة ... إنها تعيش على حساب رجل غنى يغير من اسمه دائما

الجـــــــد : ألم تكن تعرف ذلك يا عزيزى ؟

أولـــيـــس : كانت تقول لى : " لا ، هذا غير صحيح . " وكنت أصدقها لأننى كنت أحبها كثيرا .

الجـــــــد : ومنذ قليل ، وعلى حين فجأة ، عرفت جزئية جديدة ؟

أولـــيـــس : لا . ولكن القرف جاء مع الملل . إنها من جنسك يا جدى . تحتاج إلى نقود .

الجـــــــد : فى بعض الأحيان ، ...

أولـــيـــس : حسنا ! أنا لن أبيع نفسى ، حتى ولو للسعادة . لن أخضع أبدا .

(صفق باب)

نيــــقــــولا : سيدى ، الآتية رحلت قبل قليل .

أولـــيـــس : ماذا ؟

نيــــقــــولا : ترددت وهى تأخذ حقيبتها ، ثم قررت دفعة واحدة .

أولـــيـــس : لكنها ستعود ؟

نيــــقــــولا : حاليا ، هى مقتنعة بأنها لن تعود أبدا .

نيــــقــــولا : أرضيت . إذن ؟

أولـــيـــس : الحياة ليست ببساطة رهان يا جدى ؛ إننا لا نحصر مصيراً بين لفظتى نعم ولا . وبخاصة مع امرأة مثل مادلين . نيقولا ، أين هى ؟

نيــــقــــولا : لا أعرف يا سيدى .

أولـــيـــس : اذهب وابحث عنها .

الجــــــــد : وهل سترضى أن تعيش مع امرأة حاجتها للمال تفرض عليها نوعًا معينا من الحياة ، كنت تقول عنه ...

أولـــيـــس : حتى بعض الرجال المتعاظمين يمكن فى بعض الأحيان أن ينزلقوا إلى غراميات مؤثرة . حينما صادفتها ، كنت عائدا من الحرب . كنت بطلا ، بطلا ضائعا ... **(يدخل ماكسيم ٢٠)** أوه ! أنت يا صديقى ستفهمنى .

ماكسيم ٢٠ : للأسف ، حينما علمت بخبر هذه الخيانة التى لا تغتفر ، والتى أنا منها برىء ...

أولـــيـــس : لقد طردتها . أردت أن أقوم بدور الرجل القوى ، وأنا وحيد وضعيف . إن جسدها غض . أخبرها أننى صفحت . بل إننى امتثلت .

ماكسيم ٢٠ : ما أروعك يا أوليس إذ تستطيع أن تصفح ! وما أعذب كلامك هذا الذى ينزل برداً وسلاماً على قلبى .

أوليس : ألا تسىء الظن بى ؟ ألست فى نظرك جبانا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أريد سعادتك ، إذا كانت ما تزال هناك فرصة لكى تكون سعيدا .

أوليس : حينما علمت أنها تخوننى ...

ماكسيم ٢٠ : باسم صداقتنا ، اسكت . لشد ما أشعر بالخجل .

أوليس : ماذا تريد ... أنا فى حاجة إلى أن أكون قريبا منها . اعمل كل جهدك لكى تجعلها تعود . أريد أن أعيش ؛ وأنا لا أقوى على العيش دونها .

ماكسيم ٢٠ : لكى تعيش يا أوليس ، أنا أعطى ...

أوليس : ولكن لعلها لا تريد أن تعود ؟ أين هى ؟

ماكسيم ٢٠ : سأذهب إليها ، وأتوسل إليها ، بل وأحضرها بالقوة إذا لزم الأمر !

أوليس : هل تعرف أين تختبئ ؟

ماكسيم ٢٠ : نعم .

أوليس : إذن ، ابذل كل جهدك ...

ماكسيم ٢٠ : مادمت قادرا على الصفح يا أوليس ، فلعل كل شىء لم يضع . ولعلك تستطيع أن تواصل الحياة .

(يخرج)

نيقولا : (**للجد**) – ينتظرها . ولكن مادلين لن تعود أبدا .

الجد : وهو يعتقد أنه لم يحبها ...

نيــــقــــولا : هس ! إنــه فى ذكــريـاتــه ... نـعــم ، الرجـال على هــذه الحـال من التناقض والتذبذب ... قبل عشر سنوات ، كان يعتب عليها أنها هجرته ... والآن ، أنت سمعت المشهد : هو الذى كان قد طردها ...

(ماكسيم ٢٠ يصل بسرعة)

ماكسيم ٢٠ : عزيزى أوليس ! هاهى ذى ! هى أيضا تصفح عنك .

أولــــيــــس : صديقى

(تدخل يولاند)

يــــولانــــد : أخيرا ، تنصفنى يا حبيبى ...

(صمت)

أولــــيــــس : (**شاردا**) - من تكون هذه المرأة ؟

يــــولانــــد : (**فى اندهاش وعنف**) - أوليس !

أولــــيــــس : أعرف ، يا إلهى ، أن اسـمى أوليس ! نيـقولا ! جـدى ! كل شىء يختلط ، يتعقد ، ذكرياتى تتحول إلى كابوس . لا تفرح يا جدى . لا تقل إن حالى لم يرثى لها . لا تقل إن الحياة كانت كريمة معى . لا تقل إن " الحظّ " وافانى وأحببت . اليوم ، فـهمت كل شىء . ليس المهم أن يحب المرء . وإنما أن يكون محبوبا . إن العمر يتقدم بى وأنا فى حاجة لمن يحبنى . اطرد هذه المرأة .

يــــولانــــد : أوه ! لكننى سأعود إليك !

(تخرج)

الجــــــــد : أنا أحبك يا بنى .

أولـــيـــس : أعـرف ذلك . ولكنك لست سـوى صـورة . وأنا أفكـر فيك دائما وأعرف أنك كنت ستحبنى . ولكنك لست قريبا منى على الأرض . وأنا لن أستطيع أن ألقاك إلا فيما بعد فى اللقـاء الذى يضـربه الموت للأحـيـاء . لذلك أخـذت موعدا ، لأن أحداً لم يحبنى فوق هذا الأرض ، ولا حتى زوجتى .

(بيت تقترب)

يــــيـــــت : ليس ظريفا أن تتحدث هكذا يا أوليس .

أولـــيـــس : **(وقد فوجئ)** من تكونين أنت ؟

يــــيـــــت : إذا كنت تسألنى من أكون ، فأنا لست شيئا .

أولـــيـــس : لماذا تمسكين بهذا الشريط الأزرق فى يدك .

يــــيـــــت : رجل اشتراه لى ذات صباح وأنا أعتقد فى السعادة

أولـــيـــس : مسكينة !

يــــيـــــت : نعم .

أولـــيـــس : وسعادتك لم تدم طويلا ؟

يــــيـــــت : كلا !

أولـــيـــس : أين قـابلتك ؟ اعـذرى لى نسيـانى، لكننى لا أعـثـر على نفسى فى أى مكان . أين عرفتك ؟

يــــيـــــت : أنت لم تعرفنى .

أولـــيـــس : إذن ، ماذا تصنعين هنا ؟

يــــيـــــت : هذا ما أحاول أن أعرفه .

أولـــيـــس : ما اسمك ؟

بيـــت : نسيت حتى اسمى ؟

أوليـــس : هات هذا الشريط ... هذا الشريط ... يا بيت !

بيـــت : أوليس !

أوليـــس : وكنت هنا ... قريبة ...

بيـــت : هل تتألم ؟

أوليـــس : أوه ! عفوا ! عفوا !

بيـــت : مازلت أحبك . لا تسألنى العفو .

أوليـــس : نعم ، أريد أن يكون آخر موقف لى فى الحياة عند قدميك ، أريد أن أتجمد فى وضع صلاة من أجلك أنت . التى أحببتنى .

بيـــت : حبيبى أوليس .

أوليـــس : نيقولا ! لا تزعجنا بعد الآن . إلا أن يشاء الله .

نيقـــولا : ولكن يا سيدى ، الآلهة هنا منذ زمن طويل .

أوليـــس : الآلهة ؟ هل هم كثيرون ؟

نيقـــولا : حوالى خمسين .

أوليـــس : ماذا تقول ؟

نيقـــولا : من جميع الأعمار . والألوان . الصفر والحمر والسود . يوجد بوذا من الجبس ، فوق مدفأتك ! إذا كنت طالبا هناك أيضا يسوع الصغير الذى تعلقه والدتك فى رقبتك يوم مولدك والذى ستمصه بشفتيك حينما تؤلمك أسنانك وهى تنبت .

أوليس : آه ! هذه آلهتى ! لقد سقطت كما سقطت أسنانى الأولى . يمكن أن تحرقها . ولا تعد إلى إزعاجنا . أريد أن أتوقف عند هذه اللحظة .
(يعود إلى بيت) لأننى لا أريد أن أرى نفسى مرة أخرى وأنا أهجرك . لم أعد أريد أن أسمع بكاءك ، ولا أن أتذكر الأعذار التى انتحلتها فى طبيعتى المتقلبة ، لكى أهجرك وأجعلك تتعذبين .

بيت : لا تعجل بالحديث عن هذا من الآن .

أوليس : بيت . أخبرينى ، حينما أطلقت أنت الرصاص على نفسك ، هل استعرضت حياتك ، أنت أيضا ؟

بيت : لا . أنا لم أر سواك ، أنت الذى من أجله أردت أن أموت .

أوليس : وبعد ذلك ؟

بيت : أفقت من حلمى ، فوق سرير بالمستشفى وكنت أنت غائبا . لم يكن لى أن أراك ثانية إلا هذا المساء ، حيث أنا أخيرا بين ذراعيك .

أوليس : يا حبى الغالى .

يولاند : **(تقتحم المكان)** وأنا ! أنا ! ماذا يصنع بى فى هذه القصة ؟

(أوليس يتقدم ، وقد أصابه الرعب ، بطيئا نحو يولاند . موسيقى عرس تصدح .)

ستار

الفصل الثالث

(الديكور نفسه)

الجـــــــد : لن يستطيع أن يقنعنى بأن حياته كانت لا تطاق . لقد خسر الرهان .

نيــقــولا : انتظر .

الجـــــــد : (**للأب**) — ما رأيك أنت ؟

الأب : أنا أنتظر .

الجـــــــد : ولكن أنت الذى مت عجوزا طاعنا فى السن ، هل تفهمه أكثر منى ؟

الأب : إيه ! كلا . أوليس كان دائما مجنونا .

الجـــــــد : ولكن أنت الذى مت طاعنا فى السن، هل كنت تستسلم للموت عشية موتك؟ (**صمت**) ماذا كنت ترغب يوم موتك ؟

الأب : عشر سنوات أخرى هادئة لكى أتأمل حياتى المنتهية .

الجـــــــد : أوليس لا يحب أن يتأمل ؛ إنه يفور ويغلى . لقد لاذ قبل قليل بالفرار تحوطه النسوة والرجال وسط ديكور من المناظر الطبيعية والمدن التى تختلط وتنفصل ثم تتلاقى . أوليس كان فى غاية السعادة .

نيــــقـــولا : (**كئيبا حزينا**) – فلنتهيأ أيها السادة للبكاء .

الأب : لماذا ؟

نيــــقـــولا : لأنه مع قمة السعادة التى كان فيها ، هرب ، بكل أسف ، إلى آخر يوم فى حياته . وعما قليل سيقابل " يولاند " ويعلم بأمر الخيانة التى ارتكبتها فى حقه هذه المرأة التى كان يعتقد أنه يحبها . أكثر من نفسه ، ثم يطلق عدة صرخات ، ويتناول مسدسه و ... حينئذ ينتهى كل شىء .

الجـــــــد : أنا سأمنعه عن ذلك .

نيــــقـــولا : كلا . فى الحياة كل شىء فريد : التجارب مثل الثوانى التى تمر . شعور بوخز الضمير لا يحل محل تصرف معين . وشعور بالندم لا يمحو أثر كلمة معينة . ما قد قيل سيتكرر مرة أخرى . كم سيكون المشهد مؤلما !

الجـــــــد : أين هو الآن ؟

نيــــقـــولا : هو يستعد ، سيأتى ليحدثنا عن الوحدة التى ملكت عليه حياته ، وكيف أن أصدقاءه ابتعدوا عنه وحماسته تخلت عنه . سيتحدث عن مدى طهارة هذه الفتاة . ثم يقرأ مرة أخرى الرسالة الزرقاء التى مطلعها : "حبيبى" وأخيرا المسدس والناس الذى يستولى عليه ... أوه ! ...

الجـــــــد : وهل ستكون اللحظات الأخيرة فى حياته بهذه الأهمية ؟

نيــــقـــولا : بالنسبة له ، طبعا . فهذه آخر مرة يستعمل فيها كلاما بشريا يعبر به عن قلق ربما يكون عاما وشائعا .

الأب : ابنى حبيبى !

نيـــقـــولا :بما أن المشـهد النهائى سيبدأ بعد قليل ، فعلينا أن ننتهز فرصة هـذا الهدوء لكى يودع كل منا الآخر .

الأب : ألن تتركونا معه وحدنا ؟

نيـــقـــولا : عند إطـلاق الرصـاص ، علينـا أن نفـترق . أنـت ، وأنـت - لكى تغـيبـا فى نسْـيـان أرضى نهـائى - فلقد كـان أوليس آخـر شـخص على الأرض يفكر فـيكمـا ؛ وأمّـا أنا فلكى أعود إلى جسدى ، جسد الكائن الحى لأننى - وهذه خاصية أتمسك بها كثيرا - سأواصل الحياة (يعيِّن مكان المشهد الأول) هنـا ، وحيث لا أرى نفسى ، وحيث ترتعد فرائصى أمام سيدى الذى يحتضر مع أفكاره .

الجــــــــد :وهكذا سوف تعود أنت إلى مغامرات تجهل نهايتها ؟

نيـــقـــولا :نعـم . وبطبيـعـة الحـال ، ستكون الأيـام الأولى صـعبـة بالنسبة لى ... فمن وصـول الطبيب الذى يواسى سيدتى ، وإلى الشرطة ، إلى إجراءات الدفن وفراق سيدى الذى كنت أحبه . (يبكى) كما ينبغى أن أبحث لى عن مكان آخـر . أليس من الغـبـاء أن يقـتل المرء نفسـه من أجل عاهـرة كتلك ؟

الجــــــــد :ولكن ما رأيك أنت فى هذه القصة ؟ لماذا خانته زوجته ؟

نيـــقـــولا :وهــل تعـرف لمـاذا ترتكب النســاء الحـمـاقـات ؟ إنهن يتـصـرفن بالعكس كمـا تحطم الطبـاخـات الأوانـى. إنهن يستـوحين مـثل هذه السـخـافات من مصـادر شـخصـية تخيِّب كل الظنون والتوقعات .

الأب : (**للجد**) – ولكن ما الموقف الذى سنتخذه حينما يصرخ من الألم ؟

الجـــــد : بالنسبة لى ، قمت باستدعاء طبيب ، وممرض ، ونقالة ، والصليب الأحمر ... ولما لم أجد أحداً . حاولت أن أنتظر طلوع الشمس ... وجعلت أعد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ حتى ٦٠ ثم أكرر من جديد ؛ كان الليل بارداً وكان البرد يتسرب إلى ساقىَّ . وأنا أعد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ،٤، ... هذا كل ما أعرفه .

الأب :ولكن أوليس لم يوافق على استعراض حياته إلا من أجلك أنت . سيتعذب بسببك مرتين .

الجـــــد :ولكنك كنت متفقا معى ...

الأب : على أن انتحاره شىء مؤسف ...

الجـــــد :وهل تعرف الآن الأسباب ؟

الأب : لماذا كل هذه الغطرسة ؟ أنت نفسك غيرت رأيك – وأصبحت تشاركنى الرأى .

الجـــــد : أى رأى ؟

الأب :لكى نقتنع بأن موته كان ضربا من الغباء ، نحاول أن نجعله يموت مرة أخرى . مسكين ابنى ، مسكين .

نيـــقـــولا : آه ! أسمعه الآن وقد بدأ فعلا يردد اللازمة " لماذا خنتنى؟... لماذا خنتنى ؟ ... سأقتل نفسى ... "

(يدخل أوليس ، وحوله بيت ومادلين والمجهولة)

الجـــــد : (**فى غاية الانفعال**) أى بنى ... ابنى المسكين ...

أولـيـس : آه ! جدى ، يالها من رحلة رائعة ...

الجـد : (**مندهشا**) – ماذا تقول ؟

أولـيـس : أنت مت وأنت شاب ، هذا مفهوم ... ولكن ليس من الضرورى مثل هذه الخبرة الطويلة بالنساء لكى نعرف أنهن غيورات فيما بينهن ولا يتّفقن على رأى واحد . انظر إلى صديقاتى ، ألا تراهن رقيقات ناعمات ؟ تحب كل منهن الأخرى كما أحبهن أنا . ونحن نتبادل أجمل ذكرياتنا . لعبة جميلة ، لعبة أجمل ذكرى .

يـيـت : وهذه الذكرى : رائحة البطاطس المحمرة والقواقع التى أكلناها فى ذلك المطعم الصغير صبيحة اليوم الأول . وذكرى أخرى أجمل : ذكرى ابتسامة الساقية التى كانت تبتسم لنا لأننا كنا نتبادل القبلات .

مـادلين : ومحطّة أورسى ، وتذاكرنا فى جيوبنا ، مبكرين ، هادئين ، ننتظر على راحتنا السفر إلى إسبانيا ...

المجـهـولة : أما أنا ، فكم كنت سأكون سعيدة لولا ذلك البلل فى قدمىّ .

أولـيـس : فى كل خطوة كنا نسمع نزع الماء ، والهواء الذى كان يتسرب بين الشراب والنعل كان له صوت حزين يصاحب نزهتنا الوحيدة .

المجـهـولة : كان الماء باردا ، قذرا . ولكن كم كنت أنت جميلا ، يا فارسى الجميل !

أولـيـس : بابا ، خلال حياتك الطويلة ، هل أحببت نساءً غير أمى ؟

الأب : حتى مع الأخذ فى الاعتبار الوضع الراهن ، فأنا أرى أنك تتجاوز الحدود المسموح بها فى عدم التحفظ العائلى .

أوليس : كنت أود أن أعرف إذا كانت النساء المحبوبات يقمن بمثل هذه الدورة الجميلة فى ذاكرة جميع الرجال . نعم (**إلى مادلين :**) أنت التى أحبتنى لأننى أحببتك ... (**إلى بيت :**) أنت التى أحببتك لأنك كنت تحبيننى ... (**إلى مادلين :**) ألا تشعرين بالغيرة حينما أقول ليبت إنى أحببتها أكثر مما كانت تعرف ؟

مادلين : وهل يبدو علىَّ ذلك ؟

أوليس : (**إلى بيت**) أكثر مما كنت أعتقد أنا نفسى . وأنت ، يا بيت ، هل مازلت تريدين أن تموتى لأننى أحب مادلين أيضا ؟

بيت : أنا لم أكن فى حياتى بهذه الدرجة من السعادة .

أوليس : (**إلى المجهولة**) - وأنت ، يا من التقيت بك ساعة فى حياتى ، ولا تفارقينى أبدا ، ولا أستطيع أن استغنى عنك ... أنت بالضبط حركة فى شارع ، نظرة بلا تفاوتات ، وجه محدد وبلا اسم ... وداعة كاملة كنت أهم بمعرفتها وأفلتت منى - ، كلا ، وداعة عرفتها وتصاحبنى .

(تدخل يولاند عنيفة)

يولاند : هل من الإنصاف إهانة امرأة بهذه الطريقة الوقحة ؟

نيقولا : (**إلى الأب والجد**) هاقد وصلنا !

أوليس : (**بكل أدب**) - هل تعرف كل منكن الأخرى ؟ طبعا ! ما أغبانى ! هذه مادلين ...

يـــولانـــد : **(مقاطعة)** – تشـرفنا ! حقـا تشرفنا ! المـرأة سيئة السمعة التى تعيش مع الرجل الغنى ، أليس كذلك ؟

مـــــادلـين : وأنت طبعا سيدة المجتمع ، حسنة التربية ؟

يـــولانـــد : عفوا . أنا أكرر جملة قالها زوجى .

أولـــيـــس : **(لمادلـين)** هـذا صـحـيـح . ولـماذا وأنا أتحـدث عنـك فيما مضى ، لم أحتفظ إلا بهذه الجزئية من الصورة ؟ يولاند ، حينما كنت أحدثك عنها ، كنت قد نسيت أشياء كثيرة ...

يـــولانـــد : إذن ، لم يكن هذا من التحفظ ؟

أولـــيـــس : وهذه بيت ...

يـــولانـــد : هذا يكفى . أنا أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

(حركة جهل من النساء)

نيـــقـــولا : كنت على يقين من أنـها لن تتبـع قاعـدة اللعب ، المهزلة نفسها فى الحيـاة العامة . مثلا : هى لا تقبل أن تقوم الطباخة وحدها بالذهاب إلى السوق .

يـــولانـــد : أكرر سؤالى : أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

يـــيـــت : لا . نحن سعيدات ولا نسأل عن شىء آخر .

يـــولانـــد : أوليس ! كم من الوقت ستجعلنى أنتظر أيضا ؟

أولـــيـــس : أجعلك تنتظرين ؟ تنتظرين ماذا ؟

يـــولانـــد : أليس من المفـروض ، يومـا بعـد يوم ، أن تصل إلى أيامنا – ثم إلى يومنا الأخير ؟ أنا على عجلة من أمرى لأبرر موقفى ، وأشرح لك .

يــــيــــت : (**تضحك ضحكة عالية ، ثم بجدية :**) نحن لم نعد نعيش بترتيب الأيام .
نحن ندور . نحن نكرر الكلام نفسه بالفرحة نفسها .
شريط أزرق ! أوليس! شريط أزرق ! وهى تأتى بأزهارها ، أزهار السوسن البيضاء . نحن لا نملك ، تحت أيدينا ، سوى عدد محدود من الحركات أو التصرفات ، ولكن يمكن أن نظل نكرر ونُعيد إلى ما لا نهاية .

أولــــيــــس : يولاند ، ولكن أنت فى العشرين من عمرك ! هذا ثوب عيد ميلادك . أنت متحفظة ، كتومة وأخالك رقيقة وديعة ...

يــــولانــــد : (**ترتمى على قدمى أوليس**) سامحنى !

مــــــادلـين : آه ! هذه هى حركتها !

يــــولانــــد : سامحنى ! لم يكن من حقى أن أنسى أننى حبك الوحيد .
(**ضحك النساء**)

أولــــيــــس : لماذا تطلبين منى أن أسامحك ؟

يــــولانــــد : فليخرجوا جميعا .

أولــــيــــس : فليخرجوا ؟ لماذا ؟

يــــولانــــد : (**هامسة**) – أنا لست مذنبة . لست مذنبة تماما .

أولــــيــــس : أى ذنب ؟

يــــولانــــد : يا أوليس ، تلك الرسالة التى عثرت عليها ...

أولــــيــــس : (**ببساطة بالغة**) نعم ، لقد أعدنا قراءتها معًا .

يــــولانــــد : معقول ! هل سمحت لنفسك ...

أولــــيــــس : إنهم لا يفارقوننى أبدا ، قلت لك ...

يـــولانـــد : **(وقد شعرت بالإهانة)** ـ رسالتى ! ... أمام كل هؤلاء المجهولين ، أوه !

(تشعر بالخجل ، هائجة ، عاجزة)

أولـــيـــس : حبيبتى . لا داعى لاضطرابك هذا . مادلين كتبت أسوأ منها فى الماضى .

وانظرى مدى السعادة التى نحن فيها اليوم .

يـــولانـــد : **(عاجزة)** أسوأ منها ؟

أولـــيـــس : أكثر من ذلك ، رسائل تسخر فيها منى **(إلى مادلين)** تلك الرسالة ، لماذا فعلت ذلك يا مادلين ؟

مـــادلين : لأنك كنت مدعاة للسخرية .

أولـــيـــس : **(يضحك سعيدا)** هذا صحيح !

يـــولانـــد : **(متوترة)** لكن أنا خنتك !

أولـــيـــس : وهى أيضا . بالمناسبة ، أخبرينى الآن ، لماذا خنتنى ؟

يـــولانـــد : لا أعرف . لم أعد أعرف ...

أولـــيـــس : أرايت ؟!

يـــولانـــد : أنت لم تعطنى الفرصة لكى أشرح لك ...

أولـــيـــس : حسنا ! فلنبحث معا ! هل تريدين أعذاراً معقولة ؟

يـــولانـــد : أنا فى منتهى الخجل والحياء من أن أحدثك فى مصيبتى إذا لم تأخذها مأخذ المأساة . هل يمكن للمرء أن يعترف بذنبه دون صراخ ودموع ؟

(صمت)

أولـــيـــس : أنا أسمعك .

يـــولانـــد : فى هــذا الهـدوء ، كلامى يتفاقم ويجعلنى أحمر خجلا ...
أنت تستمع إلىَّ هكذا – وتنظر إلىَّ – وتبتسم ...

أولـــيـــس : كنت فى غاية السعادة وأنا معك .

(تسمع موسيقى عرس مشهورة)

يـــولانـــد : حاول أن تذكر !

أولـــيـــس : هذا كل ما أفعله .

يـــولانـــد : أنت أحببتنى لأننى كنت فتاة طاهرة .

أولـــيـــس : اضطراباتك الأولى كانت تفتننى .

يـــولانـــد : كنت تحبنى لأننى كنت سأصبح صاحبتك الوفية حتى آخر ساعة .

أولـــيـــس : ساعـتى الأخـيرة حـانت مـبكرا بعـض الشـىء ، ولكن حتى آخر ساعة من سعادتى ، ألم تكونى صاحبتى الوفية ؟

يـــولانـــد : أنت تتطـلع إلىَّ وأنـا فـى الثـوب الأبيـض ، والكنيسـة مليئـة بالشـمس ، والأصدقاء المهنئين ، والأغانى الرائعة – وذات يوم ، وذات يوم حل ، سأخونك .

أولـــيـــس : ساعدونى جميعا : لماذا تخون المرأة الرجل ؟

يـــولانـــد : أنت بشع !

أولـــيـــس : ربما لم تعودى تحبيننى ؟

يـــولانـــد : لا ، لم أكن أحب سواك .

أولـــيـــس : من بينكـن جميعـا فى تمثيلنا هـذا ، تحتفـظ لها بـدور المرأة البلهاء قليلا – أليس كذلك ؟

يـــولانـــد : (**حـانقة**) – عمـا قليل ستـحـين لحظة تكف فـيـها عن السخرية منى . .

أوليس : لأنك ستقولين لى لماذا خنتنى .

يولاند : ... وبين ذراعيه كنت أحدثه بلا كلفة بصوتى الذى تغير .

أوليس : كم مرة خنتنى ؟

يولاند : عدة أسابيع .

أوليس : هل نمت معه عارية ليلة كاملة ؟

يولاند : مرة ، نعم ، رآنى نائمة فأيقظنى وهو يقبلنى .

أوليس : ولكن لماذا ؟

يولاند : لا أعرف .

أوليس : لماذا تعلقين كل هذه الأهمية على حركاتك وكلامك ؟
لو كنت شعرت باليأس ، فذلك لأننى وجدت نفسى وحيدا معك على حين فجأة .

يولاند : أنت وحيد معى لأنك لا تحب سواى . انظر ، ما يزال الحبر على إصبعى.
أنت تذكر ، أول أمس ، حينما عدت ، أننى أسرعت بإخفاء رسالتى وأن الحبر ما يزال رطبا على إصبعى ...
انظر هذه البقعة . أوليس ، من كل هذا الحب ستسطِّر كلمات حب من أجل آخر .

أوليس : ومن سيمحو كل رسالة الحب هذه المجتمعة على إصبعك ؟

يولاند : ومن أجل أعز أصدقائك . ولن تتحمل أنت ذلك ، أيها المغرور .

ييت : ربما لن يتحمله ، بالذات لأنه أحبك ؟

مادلين : حذار يا أوليس ، إنها تريد أن تعذبك ، تعزلك فى عذابك ، لكى تطردنا جميعا .

أولـــيـــس : على أية حـال ، هى على حـق . فقد كنت مغرورا بدرجة رهيبة . غروراً يا جدى ، أعترف بأنه حملنى فى بعض الأحيان على أن أحتقرك ...

الجـــــــد : **(مذعورا)** ماذا تقول ؟

أولـــيـــس : سامحنى . أنت أولا كنت صـــورة ، الفتى الهمام بطل " جرافيلوت " الذى كنت أشعر بالفخر به فى المدرسة فى أثناء دروس التاريخ ، ثم أصبحت سؤالاً مقلقا ...

يـــولانـــد : أوليس ، لا أظن أنك ستنساني .

أولـــيـــس : خففى من صخبك قليلا ، يا امرأة أفكارى . يا أصدقائى ، أنا معكم لأخرج من نفسى ، للأسف . ـ وإذا كنتم فى بعض الأحيان توحون بشىء من السخرية ، فذلك لأننى أحب أن أسخر من نفسى . ولكن فى هذه اللحظة التى أترككم فيها ، فإننى قد ألتقى ، على الجانب الآخر من الخط ووراء الدموع والتنفس، بالقصة الحقيقية لجميع الذين أحبوا بعضهم بعضا منذ قرون طويلة ، لكى يولد لهم طفل يترعرع ويكبر ويصبح أوليس . أين أنتم يا أجدادى ويا آباء أجدادى ، يا من تنشرون فى كل جيل ، أربعًا أربعًا ، تنتشرون وتنتشرون حتى تحيطونى بأفق من الأسلاف ؟ تُرى من كان الشخصان اللذان فى كل ربيع من الأجيال ، كل عشرين عاما ، منذ آدم وحواء ، أنجبا للدنيا فتاةً كان ينتظرها فتى لكى ينجبا يومًا ما هذا الولد الصغير ؟

يـــولانـــد : أوليس !

أولـــيـــس : آه ! يا جميع آباء وأمهات حياتى ، أنتم يا من تبلغون العشرين كل العشرين عاما ، منذ أجيال وأجيال ، يا من تحدثتم لغات لا أعرفها ، يا من عرفتم جميعا ، على ما أظن ، كل أنواع العذاب والفرح ، تعالوا واستقبلونى فى آخر يوم وأعينونى ، وأنا الذى أدخل فى هذه الأرض دون أن أترك أحدا خلفى .

(الأب والجد يسندان أوليس)

الأب : أى بنى !

أولـــيـــس : أنا لم أستطع أن أسأل سواكما ...

الجـــــــد : وبعد ؟

أولـــيـــس : مغامرتك لم تساعدنى كثيرا ! على العكس !

الجـــــــد : ولكنك قلت ...

أولـــيـــس : أوه ! شىء مثير للغاية بالنسبة لطفل صغير أن يكون فى أسرته بطل ، لكن الطفل الصغير يكبر .

الجـــــــد : ليتك تشرح لى .

أولـــيـــس : لقد عرفت عنك الكثير .

الجـــــــد : (**قلقاً**) - منذ متى ؟

أولـــيـــس : منذ الحرب . حينما كنت أبيع الكاربيراتير الطراز الجديد فى الجراجات.

الجـــــــد : ولكن من حدثك عنى ؟

أولـــيـــس : ليس عمال الجراجات طبعا .

الجــــــــد : (**الذى يريد أن يخرج من الحرج**) أنا حتى لا أدرى ماذا تقول .

أولـــيـــس : ولكننى من خلال تجميع بعض العبارات التى صدرت عن بعض العجائز فى الأسرة وأجزاء من رسائل، وحسابات بعض موثقى العقود ، اكتشفت شيئا فشيئا وأعرف الآن أنك ، يا بطل جرافيلوت ، قد بعت نفسك بعد أن حسبتها جيدا ، بلا حب وبلا عاطفة .

الجــــــــد : (**مغلوبا على أمره**) مادمت قد عرفت ! لكن أنا – لو كنت أعرف !

أولـــيـــس : (**للآخرين**) لقد تزوج فى سن العشرين من آنسة جافة ، لأنها كانت غنية ، فقط لأنها كانت غنية .

الجــــــــد : أنا أعترض ! لقد توصلت إلى أن أحببتها لأنها كانت غنية . كنت أحب فيها الغنى ، كما يحب غيرى فى زوجاتهم الوجه الجميل أو الروح الطيبة .

أولـــيـــس : ولكنك كان من الممكن أن تختارها غنية وأقل نحولا .

الجــــــــد : لقد قمت بهذه التضحية لأؤمن حياتى فى سن الخمسين . غبى !غبى ! غبى! (**مادلين تطلق ضحكة عالية**) اضحكى ! اضحكى ! ولكن من يستطيع أن يصف اليأس الذى يصيب الغزاة المجهولين لأنهم يموتون قبل تحقيق الغزو ؟ لو كنت أعلم أنى سأموت فى سن العشرين . فهل كنت تزوجت ، قبل موتى بستة أشهر ، فتاة متغطرسة ومزعجة من أجل (**صداقها**) غناها؟

أولـــيـــس : مسكينة جدتى !

الجـــــــد : هل ستحكم علىّ من شعرها الأشيب ؟

الأب : هى أمى .

الجـــــــد : بالنسبة لى ، لم تكن سوى زوجتى . كنت أريد أن أترك لكم جميعا ثروة آه! افهمونى . كنت واثقا من أننى سأصبح غنيا ببضعة مئات الآلاف من الفرنكات . لذلك تزوجت أمك . واشتريت الأراضى .

مـــــادلين : سامحونى جميعا إذا قلت لكم إنه على المرء أن يثق تماما من أنه لايساوى شيئا لكى يقبل أن يبيع نفسه .

أولـــيـــس : عزيزتى مادلين . لماذا تذكريننى بهذه الجملة البشعة التى أندم عليها ؟

الأب : لا تستطيع أن تلوم نفسك على أنك عشت حياة صعبة لأنك وأنت تتزوج نسيت أن تتنبأ بحرب عام ١٨٧٠

الجـــــــد : متى بعت هذه الأراضى ؟

الأب : عام ١٨٧٥ .

الجـــــــد : بكم ؟

الأب : بمائة فرنك المتر .

الجـــــــد : الهكتارات الثلاثين ؟

الأب : نعم .

الجـــــــد : يعنى ثلاثين مليون فرنك !

الأب : نعم .

الجـــــــد : وماذا صنعت بالأموال ؟

الأب : أمي ضيعت أراضيها .

الجـــــد : أوه ! أوه ! أوه ! ولم تدافع أنت عني ؟

الأب : كما تعلم ، أنا كنت في الرابعة من عمري في ذلك الوقت .

الجـــــد : الرابعة ...

الأب : (**حزينا**) أمي اضطرت ؛ لإنقاذ ما تبقى ، أن تتزوج ابن موثق العقود .

الجـــــد : أيَّ أبنائه ؟ لم يكن عنده سوى صبي وقح بسروال قصير وبأنف قذر .

الأب : كبر بعد ذلك . كان أصغر من أمي بخمس سنوات . وكان يحب الجنوب والهدوء . لذلك فقد رحلنا جميعا إلى هناك . والحقيقة أنه لم يكن إنسانا سيِّئا . وهو الذي قام على تربيتي .

الجـــــد : وماذا أصبح بعد ذلك ؟

الأب : مات هو أيضا . منذ فترة طويلة .

(صمت)

الجـــــد : أنت على حق يا أوليس ! إذ تحتقرني .

أولـــيـــس : لا ، يا جدي . أنا لم أعد أحتقرك . ثم إنك عشت حياتك أيضا . في يوم زواجك ، واعتمادا على ثروة زوجتك ، ألم " تنتهز " فرصة شبابك ؟ ويوم اشتريت الأراضي ، ومع اطمئنانك بالنَّصر ، ألم تكن تعيش تبعا لنزواتك ورغباتك ؟

الجـــــد : لكنني لم أحقق رغباتي .

أوليس : لا أحد يحقق كل رغباته بالكامل .

يولاند : أوليس ، مازلت فى انتظار لومك وعتابك .

أوليس : ولماذا اللوم والعتاب؟ أنتِ كنت معى فى غاية الرقة والوداعة وكنت أشعر بسعادة بالغة معك .

يولاند : ماذا ؟ هل فقدت الذاكرة ؟

أوليس : كلا ؛ بل أنا استعدتها ، يا فتاتى العزيزة ، الغضة الهادئة الطاهرة ...

يولاند : إذن ، أنت تذكر أول مساء كنا وحدنا . تحدثنى فيه عن طفولتك ، وأنت طفل رائع واسع العينين . تقول لى إن المرء كلما تقدم فى السن صغر حجمه لأن الأفق من حوله يضيق . دوائره تصْغر كل عام . أولا أنت تنسى نجومك والأرض نفسها تصبح غاية فى الاتساع لنظرتك . وذات يوم امتزج أفقك بحدود وطنك حيث تدور الحرب ، وتراكمت عليك السنون ، وظللت تتقدم فى السن واستمرت الدوائر تقترب شيئا فشيئا حتى عزلتك حتى عن أصدقائك . حينئذ راحت ذراعاك الصغيرتان ، ذراعا الطفل ، اللتان كنت تفتحهما على العالم ، تنحسران حولى . وتضاءل العالم ليصير فى حجم الفراش الذى أصبح عالمك .

بيت : (**شاعرة بالإهانة**) ومع ذلك خنته ؟

يولاند : ابق وحدك معى .

أوليس : لماذا ؟ من المستحيل عليَّ الآن أن أستمع إليك فى حضرتهم . لا تخشى شيئا . سوف يساعدوننى فى الصفح عنك . بل أستطيع أن أقسم لك أننى صفحت عنك .

يولاند : ولكنك لا تستطيع أن تصفح عنى .

مادلين : لعلك وحيدة نسجك ؟

يولاند : نعم ، على الأقل ، بالنسبة له .

مادلين : لا . لقد تعذب من أجلك ، كما تعذَّب من أجلنا .

يولاند : أنسيتم أننى الأخيرة ؟

أوليس : لم يعد هناك أولى ولا أخيرة .

يولاند : ذكريات رائعة ، حقا .

أوليس : **(جادا)** نعم .

يولاند : **(مشيرة إلى بيت)** هذه المرأة متزوجة . وفى هذه اللحظة بالذات ، ربما تكون بين ذراعى زوجها ، ـ وأنت تلاطفها أيضا .

أوليس : لا تتركونى وحدى مع هذه المرأة .

يولاند : آه ! يا له من وسط جميل لذكرى رجل متوسط ! وهكذا وهو يهجرنا ، يحملنا ويحتفظ بنا .

الجد : **(فى غاية الرقة)** - أوليس !

يولاند : ولا تنسى أننى أيضا ، فى ذاكرة رجل آخر ، أُعتبر الآن ذكرى .

أوليس : عاهرة !

يولاند : تحت أمره وطوع إرادته .

أوليس : عاهرة !

يولاند : إذن فأنت ما تزال تحبني ؟

(أوليس هائج . ينقض عليها . هي تصرخ وتنادى)

حبيبى ! حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يسرع . دخوله يهدئ أوليس . صمت)

ماكسيم ٣٧ : أنا أحبها - يا أوليس .

أوليس : لا أريد ! لا أريد !

ماكسيم ٣٧ : هذه كارثة لنا جميعا وكان ينبغى أن أعترف لك بها قبل ذلك . أنا أحب يولاند .

أوليس : هذا ليس صحيحا ! أنتم جميعا تريدون تعذيبى . كيف تجرؤ وتقول لى إنك تحب امرأة تحبنى وهى أملى الأخير ؟ افهمنى ! هذه فتاة أنا أحببتها وأصبحت زوجتى وصاحبتى وأنت صاحبى وصديقى .

ماكسيم ٣٧ : منذ عدة أسابيع ، ألتقى بها دائما فى غرفة نظل فيها وحدنا ساعات كاملة ثم تعود إليك . وأنا حينما أصافحك ، أصافحك بهذه اليد التى داعبت جسدها .

أوليس : مستحيل ، فى حلقى غصة كأننى فى كابوس . ليس هذا أكثر من كابوس .

يولاند : أول مرة ، حينما رفعتُ ثوبى ، كان يتطلع إلىَّ وهو يرتعد **(تشير إلى ساقها)** لأول مرة رأى ساقى **(أوليس ينقض على الثوب ، يخر على ركبتيه باكيا)** واليوم هو يعرف جسدى كله .

أوليس : وعما قليل ستخاطبينه قائلة " حبيبى " ، وتخلعين عليه جميع عبارات الحب الأخرى المنقوشة على بقعة الحبر فى أصبعك . من ذا سيمحو هذه البقعة ؟ من ذا سينسينى هذه الساعة ؟ لماذا تكون جميع الساعات التى نعيشها خالدة ؟

الجد : أوليس ، أودُّ أن أحوِّلك عن قدرك ومصيرك . ولكن كم نحن عاجزين عن تخفيف آلام أعزٍّ من نحب ! نحن هنا جميعا نحبك وأنت تفرُّ منا . تتسرب منا . أنت تهوى فى شقائك يا أوليس .

يولاند : وهذه الشامة التى كنت أجهلها ، والتى اكتشفتها أنت فى اليوم الثالث بعد زواجنا والتى كنت سعيدا لأنك الوحيد الذى تعرفها – هو يعرفها ، وهو أيضا يحدثنى عنها .

مادلين : (**تواسى أوليس**) أوليس ، أنت صرخت أيضا من أجلى .

أوليس : نعم .

مادلين : ليال بأكملها . ثم نسيتنى إلى حد أن تحب بكل هذا العنف هذه المرأة الأخرى .

أوليس : نعم .

مادلين : (**باسم النساء الأخريات**) ... التى لا تساوى ما نساوى ، التى هى أقل منا شأنا .

أوليس : نعم .

مادلين : إذن ، فأنت على يقين من أن امرأة أخرى سوف تواسيك غدا ؟

(يولاند تضحك)

مـــــــادلـين : (**بعد لحظة يأس أمام أوليس الذى لا يسمع سوى ضحك يولاند**) - اسمعنى أنا أيضا ...

أولـــيــــس : غدا ؟ غدا ؟ ماذا يعنى الغد حينما تكون هذه المرأة أمام عينىَّ ؟

(نيقولا يحضر منضدة صغيرة بدرج)

يـــــيـــــت : ما هذا ؟

نيـــقـــولا : الدرج الذى سيأخذ منه المسدس .

الجـــــــــد : أى بنى ، ماذا باستطاعتى أن أصنع من أجلك ؟

أولـــيــــس : أن تقـول لى ما العلاقـة التى يمكن أن تقوم بيـن رغبتى فى الحياة بطموح كبير ، وبين بقعة صغيرة مختفية فى إحدى ثنايا جسد هذه المرأة .

يـــولانـــد : انظر يا أوليس وهو يعـانقنى . (**إلى مـاكـسـيم ٣٧**) عانقنى يا حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يقترب من يولاند وهو يرتعد)

أولـــيــــس : (**يلقى بنفسه بين أذرع النسـاء الثـلاث**) صـديقـاتى ! صديقاتى ! خذننى فى أحضانكن !

الجـــــــــد : حقا ، لقد تعذبت كثيرا ! سامحنى .

أولـــيــــس : (**شاردًا**) على ماذا ؟

الجـــــــــد : كنت أعـتـقـد أننى عرفت الكرب الأكـبـر ، لكننى لم أكن أعرف النساء .

ماكسيم ٢٠ : (**داخلا فجأة**) عفوا ، يا أوليس !

أولـــيــــس : أنت أيضا ! ...

نيـــقـــولا : **(على حدة)** – ما أشد رقتنا مع الأموات !

أولـــيــــس : آه ! حينمــا انزلقـت فى البحـيرة وأنت فى السـابعة من عمرك ، لماذا ألقيت بنفسى فى الماء لكى أنقذك ؟ كان ينبغى علىَّ أن أتركك تغرق . لكننى أردت أن ألعب لعبة الأخ الأكبر ، لعبة البطل ، فقد كنت أجهل ما يخبئه لى المستقبل .

مـاكسيم ٢٠ : ولكن أنا برئ .

أولـــيــــس : **(ساخرا)** – نعم !

مـاكسيم ٢٠ : ولم أحب سواك فى الدنيا

أولـــيــــس : أنت أكثر من يعذبنى اليوم .

مـاكسيم ٢٠ : لست أنا . أنا ليت لى علاقة بذلك الذى أصحبتُه **(ويشير إلى ماكسيم ٣٧)** أنا الوحيد الذى يفهم هنا . أقولها لك على الملأ : لا تندم على حياتك العاطفية .

الأب : دعنى أقل لك يا سيدى ، إذا كانت العاطفة تعد فضيلة شخصية ، فهى كارثة عائلية مقدسة .

مـاكسيم ٢٠ : أنت أحسنت صنعا حينمـا لـم تذعن لوضاعة قدرنا . أحسنت صنعا حينمـا عرضت بكل عنف دناءة الحياة اليومية . لو كنت مكانك ، لكنت فضلت أنا أيضا الموت .

أولـــيــــس : ولكنك للأسف لم تمت .

مـاكسيم ٢٠ : هل كان بوسعى أن أتنبأ بهذه الخيانة ؟

مــــــادلـين : صحيح ، دائما ندرك بعد فوات الأوان .

ماكسيم ٢٠ : أنت التى تنصحينه اليوم ؟

مـــــادلين : أنا أحببته أكثر مما أحببته أنت .

ماكسيم ٢٠ : لم يكن حبك مرحلة من أمجد مراحل حياتنا .

مـــــادلين : المجد ! المجد ! تواضعوا قليلا أيها الرجال .

أولــــيــــس : نتواضع ؟ حينما كنت أحلِّق مع الموت فى أثناء الحرب والسماء مليئة بالنجوم ، حينئذ كنت رجلا متواضعا . لكننا لم نعد نرى النجوم فى سماء المدن ، — والناس يركضون فى الشوارع تائهين شاردين . النجوم لا ترشد الملاحين فقط : فهى تذكر الناس بأنهم فوق الأرض بين أراضٍ أخرى . كارثة المدن الكبرى تكمن فى أنها لم تعد فيها سماء . وشقائى الحقيقى يتمثل فى أننى عشت معزولا عن النجوم .

(نجوم تضىء مع أن الوقت ليس ليلا)

ماكسيم ٢٠ : وأمام مشهد بهذه العظمة تأخذ دروسا فى الجبن والتخاذل ؟

أولــــيــــس : بل فى التواضع !

ماكسيم ٢٠ : أنت تخضع إذن لوضاعة الحياة ؟ وأمام الرجل الذى كنته ، ألا تشعر بمذلة مخزية ؟

أولــــيــــس : كلا . أنا كنت أتطلع إلى مصير مجيد . ولكن لماذا ؟ وباسم ماذا ؟ تأمل والدى بجوارى وهو يلزم الصمت إنه يتعذب فى قرارة نفسه بسبب آلام شخصية .

الأب : لا .

أوليس : أنا أعرف كل شىء عن داخلك ، مادمت وحدى الذى أجعلك تتكلم . إن جدى يشعر بخيبة أمل فظيعة بسبب برودك الذى قابلته به هنا فى أول لقاء لكما .

الجد : كيف لا أفزع وأنا ألتقى لأول مرة وفى مثل سنى ، بابنى فى مثل هذه الحال ؟

الأب : **(للجد)** لقد ظللت طيلة أيام حياتى أفكر فيك وأقول : " لو كان أبى هنا ... لو كنت عرفت أبى ... "

الجد : **(وهو يبكى)** نعم ... بطل " جرافيلوت " – ، أعرف .

أوليس : أنت لا تقول كل شىء ، يا جدى .

الجد : قبيل موتى ، وحينما تطرَّق الحديث إليك ، ألم تخبرك أمك بأننى كنت أحب ابنى الذى كان سيولد حتى قبل أن يولد ؟ وأننى كنت أتوقع أن يكون المولود أنثى ؟ لقد متُّ مع أجمل ذكريات طفلة قادمة . ثم كنت أنت المولود .

أوليس : ذكرياتى ، علينا بالتواضع أمام هذه اللوحة الجميلة : طفلة أحلام ، تتحول إلى رجل همام يلقى حتفه ، وسط بطلين .

ماكسيم ٢٠ : أوليس ، أنت لم تعد كما كنت .

أوليس : بالعكس ، فمع كل هذه الذكريات ، أنا كما أنا لم أتغير قيد أنمله .

ماكسيم ٢٠ : وطموحاتك الكبرى ؟ وآلامك المبرحة ؟

(ماكسيم ٢٠ يتهكم)

أوليس : تتهكم لأننى أتساءل لماذا لم أدرك قبل الآن أن عظمة الإنسان الحقيقية هى فى أن يعرف أنه أقل من عادىً ، وألا يذعن لذلك وإنما يجد فيه القانون الذى يحكمه ؟

ماكسيم ٢٠ : أنت الذى كنت تحتقر الحياة ، لأنها ليست خالدة .

أوليس : أنا اليوم أحبها بالذات لأنها عابرة فانية .

ماكسيم ٢٠ : وهى تمضى مثيرة للسخرية .

أوليس : مثيرة للسخرية ، نعم ، ولم أكن فى حياتى أكثر سعادة من الآن .

مادلين : (**إلى أوليس**) – أوليس ، أخيرا . أنت وصلت إلى الغد ...

أوليس : إلى الغد ؟ فلتشرق الشمس سريعا ! (**يهبط الليل ، مخاطبا يولاند :**) ادخلى ، يا ملاكى العزيز .

يولاند : لقد أحببتك كثيرا ، يا أوليس .

أوليس : يا لها من سعادة !

ماكسيم ٢٠ : كيف تستطيع الآن أن تتعلق بأى أمل ؟

أوليس : أى إنسان على الأرض يعش بلا ذكريات ، فهو إنسان ضائع . وأنا استعدت ذكرياتى منذ قليل . فلتشرق الشمس ، أريد أن أعيش !

يت : (**إلى نيقولا**) – دع المسدس ! فقد نجا من الموت .

نيقولا : للأسف ! لقد أُطلقت الرصاصة ولا شىء فى الدنيا يمكن أن يمنعها من الوصول إلى الهدف .

يت : ولكن الله تعالى ، يمكن أن ...

نيقولا : الإنسان حر – ورضى بأن يتحمل المسئولية .

يـولانـد : ظللت أحبك ثلاث سنوات باستثناء هذه الأيام الثلاثة الأخيرة . لماذا تكون الأيام الثلاثة أرجح وزنا من ثلاث سنوات ؟

أولـيـس : عندى لك سؤال واحد أرجو أن تجيبى عليه : لماذا كنت تغنين ؟

يـولانـد : فعلت ذلك لكى أحقق لنفسى شيئا من التوازن والتماسك .

أولـيـس : ولماذا هذه الأغنية بالذات ؟

يـولانـد : لم أفكر فى ذلك كثيرا : شعرت بالرغبة فى أن أبكى ، أن أصرخ ، كنت أشعر بالخوف ، كنت أريد أن أتمرغ عند قدميك – ووليتك ظهرى ورحت أغنى بكل بلاهة ...

(يولاند تهم بالغناء)

نيـقـولا : لا ! لا تغنى . فهذه إشارة الموت بالنسبة له .

أولـيـس : انظر يا نيقولا ، كيف أنظر إلى يولاند دون أن ترتعد أوصالى . تأمل كيف تغيرت من حال إلى حال .

نيـقـولا : المرء لا يتغير ، إن لم يكن التغيير هو ألا يكون ما كان .

أولـيـس : أنا لم أعد كما كنت . أولا ، معذرة يا جدى .

الجـد : علام المعذرة يا بنى ؟

أولـيـس : على هذا المسدس . لم أعد أريد الآن أن أكون قاتل نفسى . وبذلك فقد فزت أنت برهانك الرهيب .

نيـقـولا : **(إلى يولاند)** لقد أمسك بالمسدس ، يمكنك أن تغنى .

أولـيـس : كم سنكون سعداء . لقد بدأت أعيش لتوِّى . تعرفون جميعا أن هناك سبع خطايا . وحياتى كما رأيتم كانت

بسيطة : لم يتسع الوقت لى لكى أكون بخيلا ولا حسوداً ولا كذّابا ...

الأب : **(للجد)** – هل تعذبت وأنت تموت ؟

الجـــــد : كنت أنتظر عربة الإسعاف ، وأنت ؟

الأب : أنا ، كان الطبيب موجوداً .

أولـــيـــس : **(إلى يولاند)** – ولكن أخبرينى مع ذلك ، لماذا كنت تغنِّين ؟

يـــولانـــد : ... بكل بلاهة .

" كلمنى عن الحب " ... إلخ

أولـــيـــس : **(صارخا)** – أنا أتعذب .

الأب والجـد : أى بنى المسكين ، حبيبى !

أولـــيـــس : ولكن أريد أن أحيا . لماذا لا أواصل الحياة مادمت قد بدأت ؟

يـــيـــت : أوليس ، لقد فات الأوان .

الجـــــد : لا تحاول أن ترفع صوتك على الخالق لأنه يميتك ، فأنت الذى أردت لنفسك الموت .

نيـــقـــولا : لقد سبق السيف العذل . اللعبة تمت وإلى الأبد .

أولـــيـــس : مادلين !

مـــادلـين : أحبك .

أولـــيـــس : ييت !

يـــيـــت : **(باكية)** شريط أزرق ! شريط أزرق !

أولـــيـــس : هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها . وأسئلة كثيرة أريد أن أوجِّهها . هذا سؤال من بين ألف سؤال :

العرقى ، أريد أن أعرف ما هو مشروب العرقى ...
لن أموت قبل أن أعرف ما هو ...

المجهولة : أنا سأقول لك .

أوليس : أنت ... أنت ... يا مجهولة أراس الصغيرة ...

يولاند : عفوا ، سامحونى جميعا ، فأنا يجب أن أغنى .
" كلمنى عن حبك ... "

أوليس : (**بصوت خفيض**) – وغدا ... دونى – ، الشمس ...
(طلقة نارية – إظلام – ضوء الفصل الأول – الأغنية مستمرة)

نيقولا : النجدة ! النجدة !

يولاند : (**تصل كما حدث فى الفصل الأول**) – أوليس ! أوليس !

نيقولا : لقد مات يا سيدتى !

يولاند : كأنه يريد أن يتكلم .

نيقولا : الله وحده الذى يعرف ماذا كان يريد أن يقول .

يولاند : سامحنى ، يا حبيبى . لم أكن مذنبة لهذا الحد .

نيقولا : لا أستطيع أن أصدق أن سيدى قتل نفسه من أجل هذه المرأة .

ستار